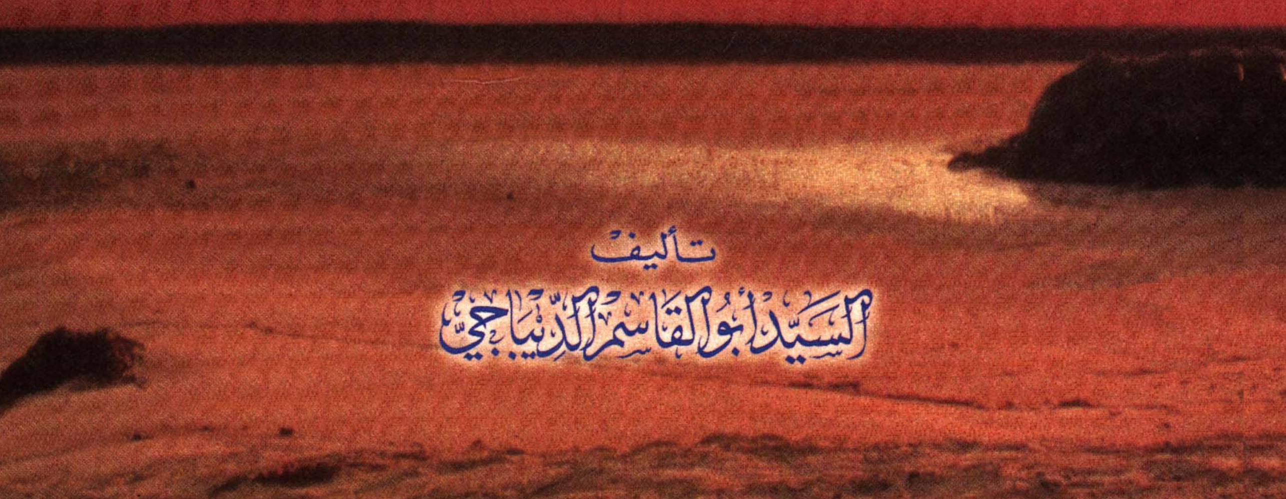
العباس بن علي عليه السلام

بطل النهضة الحسينية



تأليف

السيد أبو القاسم الديباجي

العباس بن علي عليه السلام

بطل النهضة الحسينية

تأليف

السيد أبو القاسم الديباجي



الطبعة الإلكترونية الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

عَنْ إمَامِ العَارِفِيْنَ
أَمِيرِ المُؤمِنِينَ (ع)

الْعِلْمُ نَهْرٌ
وَالْحِكْمَةُ بَحْرٌ
وَالْعُلَمَاءُ حَوْلَ النَّهْرِ يَطُوفُونَ
وَالْحُكَمَاءُ وَسَطَ الْبَحْرِ يَغُوصُونَ
وَالْعَارِفُونَ فِي سُفُنِ النَّجَاةِ يَسِيرُونَ

في المجلد الثاني لشرح أصول الكافي لملا محمّد صالح المازندراني صفحة ٧٠ باب فضل العلم

المقدمة

بطل الإسلام الخالد

لـو تصفحنـا التاريخ وبحثنا في طياته سـيرة العظـماء لجذبتنا صفحات تفوح منهـا رائحة الخلوص وتهبُّ منها نسـائم طيب النفوس، ولمالت بأبصارنا إلى سـطور متلألئة بأنوار إلهية وإشراقات ملكوتية تشـع من ذواتٍ سـعت في دنياها تسـتجمع كل روائع الكمالات وجُلَّ حسـنات الصفات، وأمسكت بعنان العبودية للواحد الأحد، ونكَّسـت رؤوسـها خضوعا وخشـوعا للفرد الصمد، فرفعها ربها إلى قربه وأدخلها في عباده وأقعدها في مقعد صدق مع أنبيائه وأصفيائه.

تلك النفوس التي استنارت بنور الله فأنارت أرواح المحبين وأحرقت قلوب العاشقين واحتارت في معرفتها عقول العارفين فوقفوا صفا صفا تعظيما وتقديسا لنور الله وتكريما وإجلالا لأولياء الله.

تشرق من بين هذه الصفحات صفحة تنسب إلى شخصية قَلَّ نظيرها في تاريخ الإنسانية قاطبة، قد نهلت من ينابيع الإخلاص والإيمان ما اسـتوعبتها نفسها الأبية واحتوتها روحها الزكية، وتزينت بتاج الشجاعة والشهامة والوفاء والإخلاص ما كلَّت الألسن عن وصفها وتحيرت العقول في إدراكها.

تلك هي شـخصية قمر الهاشميين وفخر العلويين سـيدنا ومولانا العباس ابن مولانا أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليهما أفضل صلوات المصلين!!

لقد كان حقا نِعْم الخلف الصالح الذي فاضت من ذاته جميع المعاني السامية والمراتب العالية فكان نموذجـا حقيقيـا من شـخصية أبيـه أمير المؤمنين عليه السلام حتـى قيل فيه: «وكانَ للحُسـينِ عليه السلام كـما كانَ أبوه عَـلِيٌّ عليه السلام لِرَسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم»[1]!!

قال أصحاب السَيرة في شأنه:

هو كالجَبَلِ العَظيمِ وقَلْبُهُ كالطَّوْدِ الجَسيمِ لأنَّه كانَ فارِساً هُماماً وبَطَلاً ضرْغاماً وكانَ جَسوراً عَلَى الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ في مَيدانِ الكِفاحِ والحُروبِ(٢).

ولم تكن عظمة شخصية العباس عليه السلام تنحصر في ميادين الحروب وساحات القتال فحسب، بل كانت تتجلى في مختلف المعاني الإنسانية والمكارم الأخلاقية والكمالات الروحانية كعبادة الله تعالى حق العبادة والصدق والوفاء والمروءة والإخلاص والإيثار والعلم والمعرفة وإعانة الضعفاء والمساكين وغيرها من محاسن الشيم والأخلاق، إلى أن احتوشت تلك الصفات جميع الأبعاد الوجودية في حياة العباس بن علي عليه السلام.

إن المقام الإلهي الرفيع لمولانا العباس بن علي عليه السلام أوسع من أن تحدد أبعاده الألفاظ وأعمق من أن تكشف عن حقيقته العبارات، ولكن لا ضير في أن نبين جزءا يسيرا من السيرة العطرة لتلك الشخصية الملكوتية، ونقتبس من أنواره ومناقبه ومآثره دروسا وعِبر، وننهل من ينبوع فيضه وكماله ما نبرد به غليلنا ونشفي به صدورنا، آملين في ذلك كله أن نجعل شعاع نوره سبيلا إلى نيل أعلى المكاسب المعنوية، ووسيلة لطي أرفع المقامات الإنسانية، وأن نتوسل بهذا المجاهد الرباني الذي نال بإخلاصه وعظمته وفنائه في ذات الله تبارك وتعالى لقب «باب الحوائج إلى الله» حتى نكون من التابعين له في الدنيا والنائلين شفاعته في الآخرة، آمين رب العالمين.

السيد أبو القاسم الديباجي
١٠ رجب الأصب ١٤١٨ هـ

صُنِّف الكتاب إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: العباس عليه السلام في عهد والده أمير المؤمنين علي عليه السلام - حوالي أربعة عشر عاما.

الفصل الثاني: العباس عليه السلام في عهد إمامة الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام - حوالي عشرون عاما.

الفصل الثالث: العباس عليه السلام في واقعة الطف وبطولاته واستشهاده.

الفصل الرابع: مرقد العباس عليه السلام وما طرأ عليه من التجديدات وبعض كراماته.

هوية العباس عليه السلام

اسمه:	عباس
ألقابه المشهورة:	قمر بني هاشم، قمر العشيرة، حامل اللواء، بطل المسنّاة، السقّاء، باب الحوائج، بطل العلقمي، كبش الكتيبة، حامي الظعينة.
كنيته:	أبو الفضل، أبو فاضل.
والده:	أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.
والدته:	أم البنين عليها السلام فاطمة الكلابية.
تاريخ ولادته:	الرابع من شهر شعبان في العام السادس والعشرين من الهجرة.
مكان ولادته:	المدينة المنورة.
تاريخ استشهاده:	العاشر من محرم الحرام في العام الواحد والستين من الهجرة.
مكان استشهاده:	كربلاء.
عمره يوم استشهاده:	أربعة وثلاثون عاما وخمسة شهور وستة أيام.
مرقده الشريف:	كربلاء، وله حرم ملكوتي ومزار عالي الشأن والمقام.
مراحل حياته:	تنقسم حياته الشريفة إلى ثلاثة مراحل: ١- حياته مع والده أمير المؤمنين عليه السلام - إلى الرابع عشر من عمره ٢- حياته مع أخيه الإمام الحسن عليه السلام - إلى الرابع والعشرين من عمره ٣- حياته مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام - إلى الرابع والثلاثين من عمره
خلفاء عصره:	عثمان، معاوية، يزيد.
قاتليه :	يزيد بن الرُّقاد الجُهَنيّ، وحكيم بن الطُّفيل الطائي[٣].

أشار الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في حديث له في اختيار الزوجة أن تكون: «بِكْراً تُنْسَبُ إِلَى الخَيْرِ وإِلَى حُسْنِ الخُلُقِ....»(٥).

كان أمير المؤمنين علي عليه السلام تلميذا لأستاذه العظيم رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد استفاد من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أنه قال: «إِيَّاكُمْ وَخَضْراءُ الدِّمَنِ» فقيل له: يا رسول الله وما خضراء الدِّمن؟! فقال صلى الله عليه وآله: «المَرْأَةُ الحَسْناءُ في مَنْبَتِ السوءِ»(٦).

ويمكن الإشارة هنا إلى أن قانون الوراثة من القوانين الطبيعية الثابتة والواجب مراعاتها في اختيار الزوجة، ذلك أن الصفات الموجودة في الزوجة تنتقل إلى الأبناء حسب هذا القانون العلمي الدقيق.

١- أمير المؤمنين عليه السلام يستشير عقيلا في أمر الزواج

كان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثلاثة أخوة وهم على الترتيب: طالب، عقيل، وجعفر، وكل منهم يكبر الآخر بعشر سنين، وعلى هذا يكون عقيل أسنَّ من أمير المؤمنين عليه السلام بعشرين سنة.

عن ابن عباس أنه قال: قال علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: «يَا رَسولَ الله، إِنَّكَ لَتُحِبُّ عَقيلاً!!»، قال: «إِي وَالله، إِنّي لأُحِبُّهُ حُبَّين، حُبًّا له وحُبًّا لِحُبِّ أبي طالِبٍ له، وإِنَّ وَلَدَهُ لَمَقْتولٌ في مَحَبَّةِ وَلَدِكَ فَتَدْمَعُ عَلَيهِ عُيونُ المُؤمِنين وَتُصَلِّي عَلَيهِ المَلائِكَةُ المُقَرَّبون»(٧).

كان عقيل بن أبي طالب يتميز بخصلتين وكان معروفا بهما بين العرب:

أولا: أنه كان نسّابة وأعلم أهل قريش بالأنساب وكانوا يتحاكمون إليه في ذلك، ويرجعون إليه تحريا عند المصاهرة لتمييزه بين قبائل العرب وأنسابها.

ثانيا: كان فطنا سريع البديهة وصريح اللهجة ولاذع اللسان على الأعداء، فكان مبغوضا إلى قريش لعلمه بمساوئهم فينشرها ولا يخفيها.

وفي أمر الزواج دعا أمير المؤمنين عليه السلام أخاه عقيلا ليختار له زوجة ذات نسب عريق يمتاز بالشجاعة والشهامة، فقال عليه السلام له ذات يوم: «انْظُرْ لي امْرَأَةً قَدْ وَلَدَتْها الفُحولَةُ مِنَ العَرَبِ لأَتَزَوَّجَها فَتَلِدَ لي غُلاماً فارِساً»، فقال له: «تَزَوَّجْ أُمَّ البَنينِ الكِلابِيَّة، فَإِنَّهُ لَيْسَ في العَرَبِ أَشْجَعَ مِنْ آبائِها»(٩).

وفي بعض الروايات أنه عليه السلام حينما قال: «فَتَلِدَ غُلاماً فارِساً» أضاف: «يَنْصُرُ الحُسَيْنَ بِطَفِّ كَرْبَلاء»!!(١٠)

وعلى هذا تقدم أمير المؤمنين عليه السلام لخطبة فاطمة الكلابية فوافق أهلها على ذلك وتم الزواج الميمون بينهما(١١).

٢- زواج أمير المؤمنين عليه السلام من أم البنين عليها السلام

كما أشرنا سابقا – وكما وردت في الروايات – أن عقيل بن أبي طالب كان أنسب قريش وأعلمهم بأيامها وكان مبغضا إليهم لأنه كان يعدّ مساوئهم، وكانت له طنفسة[١٢] تطرح في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فيصلي عليها ويجتمع إليه الناس في علم النسب وأيام العرب فكانوا يتحاكمون إليه ويرجعون إلى قوله، وكان حينئذ قد ذهب بصره وكان أسرع الناس جوابا وأشدهم عارضة.

وذات يوم قال أمير المؤمنين عليه السلام لأخيه عقيل: «انْظُرْ لي امْرَأَةً قَدْ وَلَدَتْها الفُحولَةُ مِنَ العَرَبِ لأَتَزَوَّجَها فَتَلِدَ لي غُلاماً فارِساً»، فأطرق عقيل رأسه هنيهة ثم قال: «تَزَوَّجْ أم البنين الكِلابِيَّة[١٣] فَإِنَّهُ لَيْسَ في العَرَبِ أَشْجَعَ مِنْ آبائِها»[١٤].

ومن قومها الشاعر المعروف لبيد بن ربيعة الذي أنشد شعرا عند ملك الحيرة – النعمان بن المنذر – في شجاعة قبيلة بني كلاب ولم ينكر عليه ذلك أحد من العرب، ومنه هذا البيت:

وَنَحْنُ خَيْرُ عامِرِ بْنِ صَعْصَعَة
الضارِبونَ الهامَ وَسْطَ الجُمْجُمَة[١٥]

وكذلك أبو براء – عامر بن مالك جد ثمامة والدة أم البنين – الذي لم يعرف في العرب غير أمير المؤمنين عليه السلام مثله في الشجاعة، وعلى هذا لُقِّب بـ «مُلاعِب الأَسِنَّة»![١٦]

قَبِل أمير المؤمنين عليه السلام بما أشار عليه عقيل وتزوج بفاطمة الكلابية.

وكان هدف أمير المؤمنين عليه السلام من زواجه بأم البنين هدفا ساميا وأمرا جليلا وهو أن يرزقه الله تبارك وتعالى منها أولادا حتى يكونوا أنصارا لولده الحسين عليه السلام يوم كربلاء.

وكان ذلك الأمر جلِيًّا وبيِّناً لدى الكثير من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، فقد قيل أن زهير بن القين (أحد كبار صحابة أبي عبدالله الحسين عليه السلام والذي استشهد بين يديه يوم عاشوراء) أتى عبدالله بن عقيل قبل أن يُقتل، فقال له: يا أخي ناولني الراية، فقال له عبدالله: أفيَّ قصور؟! فقال: لا ولكن لي بها حاجة، فدفعها إليه، فأخذها زهير وأتى العباس بن علي عليه السلام وقال: «يا ابْنَ أميرِ الْمُؤمِنينَ، أريدُ أنْ أحَدِّثَكَ بِحَديثٍ»، فقال: «حَدِّثْ فَقَدْ حَلا وَقْتُ الحَديثِ»، فقال له: «اعْلَمْ يا أبا الفَضْلِ أنَّ أباكَ أميرَ المؤمنين لَمّا أرادَ أنْ يَتَزَوَّجَ بِأمِّكَ أمِّ البنين بَعَثَ إلى أخيه عَقيل وكانَ عارفاً بِأنْسابِ العَرَبِ فَقالَ له يا أخي أريدُ مِنْكَ أنْ تَخْطِبَ لي امْرَأَةً مِنْ ذَوي البُيوتِ والنَّسَبِ والحَسَبِ والشَّجاعَةِ لِكَي أُصيبَ منها وَلَداً يكونُ شُجاعاً وَعَضُداً يَنْصُرُ وَلَدي هذا وأشارَ إلى الحسين عليه السلام يُواسيهِ في طَفِّ كَرْبَلاء، وَلَقَدْ ادَّخَرَكَ أبوكَ لِمِثْلِ هذا اليومِ، فلا تُقَصِّرْ عَنْ حَلائِلِ أخيكَ وعَنْ أخَواتِكَ»!! فارتعد العباس عليه السلام وتمطّى

في ركابه حتى قطعه، فقال: «يا زُهَير تُشَجِّعُني في مِثْلِ هذا اليوم......»!![١٧]

٣- قبسات من مقامات أم البنين عليها السلام

كانت أم البنين من النسـاء اللاتي اتصفْنَ بصفات أخلاقية عالية واتسـمْنَ بسـمات إنسـانية رفيعة، فقـد كانت سـيدة جليلة القدر، عاليـة المقام، رفيعة الشـأن، خُلقت من طينة طيبة طاهـرة، يملأ قلبها الحنان والرقة والعطف إلى جانب ما اتصفت به من الشجاعة ورباطة الجأش، وبعدما حظيت بالزواج مـن أمـير المؤمنين عليه السلام ودخلت بيته كانت أمًّا ثانية لأبناء رسـول الله صلى الله عليه وآله وهـم أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام المنتجبين الحسـن والحسـين وزينـب الكبرى وأم كلثوم صلوات الله وسـلامه عليهـم أجمعين، فكانت تؤثر أبناء رسـول الله صلى الله عليه وآله على أولادها، وعلى هذا المنهج كانت تربي أولادها وتزرع في قلوبهم محبة أهل البيت عليهم السلام وطاعتهم ومودتهم والتولي بهم والتبري من أعدائهم.

وكانـت أم البنين تُكِنُّ حبا وعطفا شـديدين لأولاد فاطمة الزهـراء عليها السلام، حتى أنها وردت في بعض الروايـات التاريخيـة أنها طلبت من أمير المؤمنين عليه السلام ألا يناديها باسـمها - فاطمـة - لأنها رأت أنه كلما ناديهـا بهـذا الاسـم يتـذكـر أولاد الزهـراء عليها السلام أمهم، فتتجـدد أحزانهـم بمصائبهـا عليها السلام، فوافق أمير المؤمنين عليه السلام على طلبها، فكان يناديها «أم البنين».

قال السيد باقر شريف القرشي في كتابه (العباس رائد الكرامة والفداء في الإسلام ص ٢٣):

لم يعرف في التاريخ أن ضرَّة تخلص لأبناء ضرتها وتقدمهم على أبنائها سوى هذه السيدة الزكية.

نعـم، لقد تخلقت أم البنين عليها السلام بالكمالات الروحية والمعنوية، وكانت تفخر - مع دخولها بيت مولى المؤمـنين وإمام المتقين وسـيد الوصيـين أمير المؤمـنين عليه السلام - أن تخدم أولاد الزهـراء عليها السلام وأن تكون لهم أمًّـا ثانيـة، وفي المقابل كان أولاد الزهـراء عليهم السلام يحترمونها غاية الاحترام ويعظمون شـأنها غاية التعظيم، ويحبونها حب الأبناء للأمهات.

ويذكر السيد المقرم في كتابه (قمر بني هاشم):

وبلـغ من عظمتـها ومعرفتـهـا وتبصّـرها بمقـام أهل البيـت أنها لما أدخلت على أميـر المؤمنين عليه السلام وكان الحسـنان مريضـين أخذت تلاطف القول معهما وتلقـي إليهما من طيب الكلام ما يأخذ بمجامع القلوب، وما برحت على ذلك حتى تحسن السيرة معهما وتخضع لهما كالأم الحنون.

ثـم يقول: ولابد في ذلك، فإنها ضجيعة شـخص الإيمان، قد اسـتضاءت بأنـواره وربت في روضة أزهاره، واستفادت من معارفه وتأدبت بآدابه وتخلقت بأخلاقه[١٨].

العالِم الرباني زين الدين - المعروف بالشهيد الثاني والمتوفى عام ٩٦٥ من الهجرة - كتب في شأن أم

البنين عليها السلام:

إنها من السيدات اللاتي تخلَّقن بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، وكانت تحمل في قلبها محبة خالصة لأهل بيت الرسالة وتعلقا شديدا بهم، فجعلت نفسها وقْفا لخدمتهم ومرضاتهم حتى نالت من أهل البيت عليهم السلام الاحترام والتقدير البالغين والمكانة الخاصة بينهم، فقد ذكر أن العقيلة الحوراء زينب الكبرى عليها السلام كانت تزورها أيام العيد، وكذلك زارتها بعد منصرفها من واقعة الطف تعزيها بأولادها الأربعة[١٩].

يقول العلامة المحقق الشيخ جعفر النقدي في كتابه (زينب الكبرى) عند ذكره أم البنين: كانت من النساء الفاضلات العارفات بحق أهل البيت كما كانت فصيحة بليغة لسنة ورعة ذات تقى وزهد وعبادة.

ثم يقول مباشرة بعدما تقدم: ولإكبارها وجلالتها زارتها زينب الكبرى بعد منصرفها من واقعة الطف كما كانت تزورها أيام العيد.

يقول العلامة الشيخ المامقاني في (تنقيح المقال):

ويستفاد من قوة إيمانها وقوة تشيُّعها أن بُشْرا كلما نعى إليها أحد أولادها الأربعة قالت -بما معناه-: «أخْبِرْني عن الحُسَين!!»، فأخذ ينعي لها أولادها واحدا واحدا حتى نعى إليها العباس عليه السلام قالت: «يا هذا، قَطَّعْتَ نِياطَ قَلْبي، أولادي وَمَنْ تَحْتَ الخَضْراءِ كُلُّهُم فِداءً لأبي عَبْدِالله الحسين عليه السلام!!»، فقال لها: عظَّم الله لك الأجر بمصاب مولانا الحسين عليه السلام!!

ثم يقول: إن علاقتها بالإمام الحسين عليه السلام ليست إلا لإمامته، وتهوينها على نفسها موت مثل هؤلاء الأشبال إن سلم الحسين عليه السلام يكشف عن مرتبة في الديانة رفيعة[٢٠].

ويروى أيضا أنه بعد واقعة الطف ورجوع من بقي من أهل البيت عليهم السلام من كربلاء إلى المدينة التقت أم البنين عليها السلام بزينب الكبرى عليها السلام وأخذت تسألها عن أولادها الأربعة فأخبرتها زينب عليها السلام باستشهادهم، ثم قالت: كلهم فداء لأبي عبدالله الحسين عليه السلام، ما هي أخبار ولدي الحسين عليه السلام؟! فقالت زينب عليها السلام: «قُتِلَ الحُسينُ عَطْشاناً»، وما أن سمعت أم البنين هذا الخبر ضجت بالبكاء والعويل وضربت بيديها على رأسها وهي تقول: «وا حُسيناه!!»[٢١].

ومما يجدر بالذكر أن أم البنين عليها السلام تتوسط في كثير من الحالات للمحتاجين والمتوسلين بولدها أبي الفضل العباس عليه السلام فتشملهم فيوضات فضله وبركاته.

وفي بيان حقيقة هذا الأمر نلفت انتباهكم إلى الحادثة التالية والتي نقلها أحد مراجع التقليد وهو المرحوم آية الله ملا علي الهمداني رضي الله عنه.

يقول سماحته: في قرية من قرى همدان كانت هناك سيدة لم تُرزق بأولاد وذلك بعد سنوات من زواجها، فأشارت عليها إحدى السيدات أن تنذر لله تعالى إن رزقها ولدا تسميه أبا الفضل، فنذرت الأم ورزقها الله تعالى ولدا فسمته أبا الفضل، ولما بلغ الصبي الرابع عشر من عمره مرض مرضا شديدا حتى يئس من الحياة، فجاءت تلك السيدة مرة أخرى وأشارت عليها أن تتوسل بعقيدة راسخة بأبي الفضل العباس عليه السلام أن يشفى ولدها بإذن الله تعالى، توسلت الأم في ليلتها بأبي الفضل عليه السلام، ولما أصبح الصباح طُرق الباب ففتحت الأم الباب وإذا بالسيدة تقول لها: إن الله تعالى قد شفي ولدك لأني رأيت الليلة في المنام أن جمعا من النسوة تتقدمهم أم البنين عليها السلام يترددن على منزلك، فسألت أم البنين عليها السلام: إلى أين أنت ذاهبة يا أم البنين؟! فقالت: أذهب لشفاء هذا الولد!! ولما دخلت الأم على ولدها فإذا به جالس وقد عافاه الله تعالى من مرضه!![٢٢]

ونختم هذا الباب بذكر أبيات لسماحة المرجع في عصره الشيخ هادي كاشف الغطاء قدس سره إذ قال ما قاله في منظومته المقبولة الحسينية يخاطبها:

أمُّ البَنينِ طابَتِ الأبْناءُ
مِنْكِ كَما قَدْ طابَتِ الآباءُ
أمُّ الأسودِ مِنْ بَني العُلَى
أمُّ الحُماةِ والآباءِ النُّبَلا
أمُّ أبي الفَضْلِ وأمُّ جَعْفَرِ
وأمُّ عَبْدِالله شِبْلِ حَيْدَرِ
وأمُّ عُثْمانَ الذي أسْماهُ
بِاسْمِ ابْنِ مَظْعونِ الأبُ الأوّاهُ
الأنْجَبينَ الطّاهِرينَ أنْفُسا
الأكْرَمينَ الطَّيِّبينَ مَغْرَسا

ولادة قمر بني هاشم عليه السلام

في السنة السادسة والعشرين من الهجرة – في عصر خلافة عثمان بن عفان – وفي شهر شعبان كان العالم الإسلامي ينتظر الطلعة الزاهرة في سماء المدينة المنورة، وفي اليوم الرابع من ذلك الشهر وبين طلوع الفجر وطلوع الشمس[٢٣] بزغ نور القمر الهاشمي من بيت أمير المؤمنين علي عليه السلام، فعطَّر بعبير مولده بيت النبوة والإمامة، وأشرق بنور جماله أفق العز والكرامة.

لقد ولد لأمير المؤمنين عليه السلام مولود جميل الطلعة حسن الهيئة ميمون الغرة، فكان زهرة عطرة تفتحت في الروضة العلوية، ونبعة عذبة تفجرت من ينبوع الحكمة الإلهية.

لَكَ نَفْسٌ مِنْ مَعْدِنِ اللُّطْفِ صِيغَتْ
جَعَلَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ فِداها

تسميته عليه السلام بالعباس

بعد ولادة العباس عليه السلام لفَّته أم البنين عليها السلام بخرقة وجاءت به إلى أمير المؤمنين عليه السلام ليختار له اسما وليقيم عليه مراسيم السنَّة النبوية، فاحتضنه أمير المؤمنين عليه السلام وأذَّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى[٢٤]، ثم قال لأم البنين عليها السلام: ماذا سميته؟! فأجابته بكمال الأدب والاحترام: ما كنت لأسبقك في أي أمر، فاختر له ما شئت!! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: سميته باسم عمي العباس.

و «العباس» في المصطلح اللغوي صيغة مبالغة ويعني الشديد الصلب وحاد المزاج، وإنما سماه أمير المؤمنين عليه السلام ببصيرته الملكوتية ومكنون علم الإمامة بـ «العباس» لعلمه بصلابته وجرأته وشدة بأسه، ويراه مصداقا جليّا للآية المباركة: ﴿.... وَمَنْ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الكُفّارِ....﴾[٢٥].

يقول العلاَّمة الحائري في (معالي السبطين):

وسماه أمير المؤمنين عليه السلام بالعباس لعلمه بشجاعته وسطوته وصولته وعبوسته في قتال الأعداء وفي مقابلة الخصماء، قيل عباس كشداد الأسد الضاري، كانت الأعداء ترجف أبدانهم وترتعد مفاصلهم وتعبس وجوههم خوفا إذا برز إليهم العباس عليه السلام[٢٦].

يقول الشاعر الشهير جعفر الحلي رضي الله عنه:

عَبَسَتْ وُجوهُ القَومِ خَوفَ المَوتِ

والـعَـبَـاسُ فـيـهِـمْ ضـاحِـكٌ مُـتَـبَـسِّـمُ
بَـطَـلٌ تَـوَرَّثَ مِـنْ أبـيـهِ شـجـاعـةً
فـيـهـا أنـوفُ بَـنـي الـضـلالَـةِ تُـرْغَـمُ

جمال العباس عليه السلام وحسنه وطول قامته

الجمال موهبة إلهية وعطية ربانية يكسو الله تعالى به عباده ويهبه لخلقه.

وكما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اطلُبوا الخَيْرَ عِنْدَ حِسانِ الوُجوهِ»(٢٧)، وفي حديث آخر قوله صلى الله عليه وآله: «اطلُبوا حَوائِجَكُمْ عِنْدَ حِسانِ الوُجوهِ»(٢٨)، وقال أحد الشعراء في ذلك:

لَـقَـدْ قـالَ الـرسـولُ مَـقـالَ صـدقٍ
وخـيـرُ الـقـولِ مـا قـالَ الـرسـولُ
إذا الـحـاجـاتُ فَـرتْ فَـاطْـلُـبـوهـا
إلى مَـنْ وجـهُـهُ حَـسَـنٌ جـمـيـلُ

وكان من عادة العرب تسمية من يتصف بالجمال والحسن وطول القامة بـ «القمر»، وكان لبني هاشم النصيب الأوفر من هذه النعمة وهذا المديح، فقد كان العرب تسمي عبدمناف - الجد الثالث لرسول الله صلى الله عليه وآله - بـ «قمر البطحاء»، وتسمي عبدالله - والد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يتميز ببهاء الطلعة وله نور يسطع بين عينيه - بـ «قمر الحرم»، وأبوالفضل العباس عليه السلام من الذين أنعم عليهم الجميل المتعال بهذه المنحة والمزيَّة فكساه برداء الحسن والجمال وألبسه حلة البهاء والكمال تحيط جبهته الغراء هالة من نور حتى لُقِّب بـ «قمر بني هاشم».

يقول الشيخ المظفر في كتابه (بطل العلقمي):

فأبو الفضل العباس الأكبر بن أمير المؤمنين عليه السلام ممن وسمهم الله بميسم الجمال والوسامة وكساهم أردية الحسن كرامة منه لأنهم أهل الكرامة، وقد سمعت ما قاله أبو الفرج وكذلك غيره فكونه يلقب بقمر بني هاشم أمر معروف عند المؤرخين وحسبك بمن يكون قمر هذه العشيرة الفائقة على عامة البشر بجمالها الباهر وحسنها الزاهر!!(٢٩)

وقال السيد جعفر الحلي رضي الله عنه في أبيات له حينما مشى الحسين عليه السلام إلى أخيه بعدما سقط:

فَمَشَى لِمَصْرَعِهِ الحُسَيْنُ وَطَرْفُهُ
بَيْنَ النِّساءِ وَبَيْنَهُ مُتَقَسِّمُ

أَلْفاهُ مَحْجوبَ الجَمالِ كَأَنَّهُ
بَدْرٌ بِمُنْحَطَمِ الوَشيجِ مُلَثَّمُ

وأما العلاَّمة الحجة الشيخ محمد حسين الإصفهاني الغروي المعروف بالكمباني قدس الله سره يقول:

وقَدْ تَجَلَّى بِالجَمالِ الباهِرِ
حَتَّى بَدا سِرُّ الوُجودِ الزاهِرِ
غُرَّتُهُ الغَرّاءُ في الظُهورِ
تَكادُ أنْ تَغْلِبَ نورَ الطورِ
رَقى سَماءَ المَجدِ والفَخارِ
بِالحَقِّ يدْعَى قَمَرَ الأقْمارِ
بَلْ في سَماءِ عالَمِ الأسماءِ
كَالقَمَرِ البَازِغِ في السَّماءِ
بَلْ عَالَمُ التَكْوينِ مِنْ شعاعِهِ
جَلَّ جلالُ الله في إبْداعِهِ

وكتب أصحاب السِيَرَ في جمال أبي الفضل العَباس عليه السلام وملاحته وطول قامته الكثير، وقد وصفه أبو الفرج الإصبهاني في (مقاتل الطالبيين) بقوله: «كانَ العَبّاسُ بنُ أميرِ المُؤمِنينَ رَجُلاً جَميلاً وَسيماً يَرْكَبُ الفَرَسَ المُطَهَّمَ وَرِجْلاهُ تَخُطّانِ في الأرْضِ»[٣٠].

وذكر البعض الآخر في نعته أنه حينما كان يركب الفرس المطهم ويضع رجليه في الركاب تصل ركبتاه إلى أذني الفرس!![٣١]

بَطلٌ إذا رَكِبَ المُطَهَّمَ خِلْتَهُ
جَبَلٌ أشَمُّ يَخِفُّ فيهِ مُطَهَّمُ

يقول السيد المقرم في كتابه (قمر بني هاشم):

كان يشؤ بجماله كل جميل ويبذ[٣٢] بطلاوة منظره كل أحد حتى كأنه الفذ في عالم البهاء والوحيد في دنياه كالقمر الفائق بنوره أشعة النجوم[٣٣].

ولفرط جمال العباس عليه السلام كانت أمه أم البنين عليها السلام تعيذه بالله من أعين حاسديه، وكانت تقول بأبيات شعر:

أعيذُهُ بِالواحِدِ
مِنْ عَيْنِ كُلِّ حاسِدِ
قائِمِهِمْ والقَاعِدِ
مُسْلِمِهِمْ والجَاحِدِ
صَادِرِهِم والوارِدِ
مَوْلِدِهِمْ والوالِدِ(٣٤)

ثلاثية شخصية العباس عليه السلام

يرى علماء النفس أن هناك ثلاثة عوامل رئيسية في بناء شخصية الإنسان وهي:

١ - الوراثة

٢- التربية

٣- البيئة

يـروى أن في موقعـة الجمـل دفـع أمـير المؤمنين عـلي عليه السلام رايتـه إلى ابنه محمـد الحنفية وقد اسـتوت الصفـوف، وقـال له: احمل، فتوقف قليلا فقال: يا أمير المؤمنين، أما ترى السـماء كأنها شـآبيب المطر!! فدفع في صدره وقال: «أَدْرَكَكَ عِرْقٌ مِنْ أمِّكَ»!![٣٥]

وعلى هذا يمكن القول أن قانون الوراثة قانون قطعي ومسلَّم به.

وأما بالنسـبة للعاملَين الآخرين - التربية والبيئة - فقد روي أن رجلا سـأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما حق ابني هذا؟! فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «تُحْسِنُ اسْمَهُ وَأَدِّبْهُ وَضَعْهُ مَوضِعاً حَسَناً»[٣٦].

وقـد كملـت في العباس عليه السلام العوامل الثلاثة وكانت لها الآثار الحسـنة في أخلاقه وسَـيره وسـلوكه وكمالاته الظاهرية منها والمعنوية.

١- الوراثة

ولـد العباس عليه السلام في بيت الطهر والإمامة وفتح عينيه على أنوار العصمة والولاية فنبضت في عروقه مناقب الأطهار وتشعشعت من ذاته أنوار النجباء الأخيار.

ولد لأب هو سيد الوصيين وأمير المؤمنين ويعسوب الدين وحجة الله على الخلق أجمعين وخير الخلق بعد رسول رب العالمين، ولأم حازت من الفضائل أعلاها ومن المحاسن أسناها، فكان مجمعا للكمالات

الروحية وعصارة للطهارة المعنوية، ورث من أبويه كمال الأخلاق والتقوى والورع والزهد والشجاعة والفروسية والصدق والوفاء والعلم والمعرفة، فنال بذلك الدرجات العلية والمراتب السنية.

أبـو الإبـاءِ وابْـنُ بَـجـدَةِ اللِّقا
رَقَـى مِـنَ الـعَلْياءِ خَيْرَ مُـرْتَقَى
ذاكَ أبـو الـفَـضْـلِ أخـو الـمَعالي
سُـلالَـةُ الـجَـلالِ والـجَـمـالِ
شِـبْـلُ عَـلِـيٍّ لَـيْـثُ غـابَـةِ الـقِـدَمِ
ومَـنْ شـابَـهَ أبـهُ فَـمـا ظَـلَـمْ
صِنْوُ الـكَـريـمَـيْـنِ سَـلِيلي الـهُدَى
عِـلْـمـاً وحِـلْـمـاً شَـرَفـاً وسُـؤدُدا
وارِثُ مَـنْ حَـازَ مَـواريـثَ الـرُسُـلِ
أبـو الـعُـقـولِ والـنُـفـوسِ والمُـثُـلِ
وكَـيْـفَ لا وذاتُـهُ الـقُـدْسِـيَّـة
مَـجْـمـوعَـةُ الـفَـضـائِلِ الـنَـفْـسِـيَّـة(٣٧)

٢- التربية

نشأ العباس عليه السلام في حجر المكارم والعلا وترعرع في أحضان الفضيلة والتُّقى وتربى في المدرسة العلوية الكبرى والآية العظمى إلى جانب سبطي الرحمة وإمامي الهدى وشبلي الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليهم صلوات الله، فنال من السبل التربوية أقومها ومن المناهج التعليمية أرفعها، لا سيما في ميدان الشجاعة والفروسية، فتخرَّج من تلك الجامعة القدسية وقد حاز على وسام الشرف والفخار والمجد والعظمة.

لقد نما العباس عليه السلام في مكتب البطل الضرغام والليث الهمام والفارس القمقام أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام الذي ينشد هذه الأبيات (من جملة ديوان يُنسب إليه):

الـسَّـيْـفُ والـخَـنْـجَـرُ رَيحانُنا
أُفٍّ عَـلَـى الـنَّـرْجِـسِ والـيَـاسِ
شَـرابُـنـا مِـنْ دَمِ أعْـدائِـنـا
وكَـأْسُـنـا جُـمْـجُـمَـةُ الـرّاسِ

وكأن شبوله تعلموا منه هذا المقال سيما قرة عينه أبا الفضل العباس عليه السلام الذي كان يستقبل السيوف والسهام والرماح بوجهه ونحره وصدره كأن كل سهم طاقة ريحان من الحبيب إلى المحبوب:

يَلْقَى الرِّماحَ بِنَحرِهِ فَكَأَنَّما
فِي ظَنِّهِ عُودٌ مِنَ الرَّيْحانِ
ويَرَى السُّيوفَ وصَوتَ وَقْعِ حَديدِها
عُرْساً تُجْليهِ عَلَيْهِ غَواني[٣٨]

٣- البيئة

عاش العباس عليه السلام في بيئة تنورت بنور اللاهوت واستوعبت أسرار المُلك والملكوت وأحاطت به أنجم العصمة وأقطاب الولاية وأنوار الهداية، فأينما كان يرنو بطرْفه يرى جبلا أشمًّا من كنوز المعرفة وينبوعا فيّاضا من ينابيع الحكمة ومعدنا جليًّا من معادن الكرامة.

بيتٌ عَلا سُمْكَ الضِّراح رِفْعَةً
فكانَ أَعْلى شَرَفاً وأرْفَعا
أَعَزَّهُ الله فَما تَهْبِطُ في
كَعْبَتِهِ الأمْلاكُ إلا خُضَّعا
بيتٌ من القُدْسِ وناهيك به
مَحَطُّ أسْرارِ الهُدَى ومَوضِعا
وكانَ مَأوَى المُرْتَجي والمُلْتَجي
فَما أعَزَّ شأْنُهُ وأمْنَعا[٣٩]

لقد كان العباس عليه السلام جامعا للفضائل والكمالات الفطرية والاكتسابية، فقد خُلق من طينة طيبة وسجيَّة حسنة، وكان مستودعا في الأصلاب الشامخة، فهو سليل الأصفياء وفرع الأزكياء وغصن رطيب من شجرة الأتقياء، ولكن لم تمنعه تلك المزايا من اكتسابه الخصال الحميدة والأخلاق المجيدة من سادات المكارم وأعلام الهدى فتنورت ذاته بالمعارف الإلهية والعلوم الربانية والعقائد الإيمانية.

يقول الشيخ المظفر في (بطل العلقمي):

لا أحد أعرف بحقائق الأديان ولا أعلم بنواميس الشريعة الإسلامية وأحكام الدين المقدس من رجل ذهبت حياته في خدمة الأئمة السادات العلماء كأبيه أمير المؤمنين وأخويه الحسن والحسين عليهم السلام حتى أنه عليه السلام لم يفارق تلك الأعتاب المقدسة لحظة واحدة ولم يبتعد عن تلك الأبواب المحترمة

خطـوة قليلة ونهاره مـلازم لخدمتهم ملازمة الظل لذي الظل مع حرصهم على تثقيف الأباعد وتعليم الغرباء فكيف لا يثقفون الأقارب ولا يعلمون الأرحام!!

ثم يقول:

فكيف لا يمتاز العباس عليه السلام وهو خريج كلية الحقائق وتلميذ أسـاتذة الحق وجهابذة الملة وفطاحل علماء الشريعة المقدسـة، ومن تخرج من تلك المدارس الروحانية العرفانية وجعل في الصف المقدم من صفوف تلك الكليات الراقية...[٤٠]

النتيجة

وعلى هذا فالشخصية الفذة لمولانا أبي الفضل العباس عليه السلام كانت قائمة على أسس الارتقاء والتكامل الثلاثـة: الوراثة والتربية والبيئة، ولا شـك أن المشـيئة الإلهية والإرادة النافذة هـي التي أفاضت عليها الأنوار القدسية والسجايا العلية، فقويت جذورها واخضرت فروعها وأينعت ثمارها فصارت مهبطا للتجليات ومحورا للمكرمات، وأبت إلا أن تنضم إلى عظماء الولاية وأركان الطهارة حتى كادت تنال مرتبة العصمة الإلهية الشامخة.

تقبيل علي عليه السلام يدي ولده العباس عليه السلام وبكاؤه عليه

كان أمير المؤمنين عليه السلام يعلم بواسـع علم الإمامة ما سـيجري على ولده العباس عليه السلام يوم الطفوف من فـادح البـلاء حيث تقطع يداه ويضرب بالعمد على رأسـه وينبت السـهم في عينـه فكانت تكثر عبراته وزفراته وهو يقول: «ما لي وليزيد!!»

ذكر صاحب كتاب (قمر بني هاشم) بالفارسية ص ٢١:

أن أم البنـين رأت أمـير المؤمنـين عليه السلام في بعـض الأيام أجلس أبـا الفضل عليه السلام على فخذه وشـمَّر عن سـاعديه وقبَّلهـما وبكى فأدهشـها الحال لأنها لم تكن تعهد صبيا بتلك الشـمائل العلويـة ينظر إليه أبوه ويبكـي مـن دون سـبب ظاهر، ولما أوقفهـا أمير المؤمنين عليه السلام عـلى غامض القضاء وما يجـري على يديه من القطع في نصرة الحسـين عليه السلام بكت وأعولت وشـاركها من في الدار في الزفرة والحسرة، غير أن سـيد الأوصيـاء بشَّرهـا بمكانـة ولدها العزيز عند الله جل شـأنه ومـا حباه عن يديه بجناحـين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل ذلك لجعفر بن أبي طالب، فقامت تحمل بشرى الأبد والسعادة الخالدة[٤١].

نعم، فإن من شـأن النسـاء الجزع والفزع إذا ما سمعن ما سيجري على أولادهن وفلذات أكبادهن من المصائب والبلاء فتثور عواطفهن ويعلو صياحهن، ولكن إخلاص أم البنين عليها السلام لأولاد الزهراء عليها السلام

كان من العمق والقوة واليقين لتفرح وتسرّ بسماع هذه البشرى من سيدها ومولاها أمير المؤمنين عليه السلام بأن يكون أولادها لا سيما أبا الفضل العباس عليه السلام قرابين في سبيل نصرة الحسين عليه السلام والدفاع عن حريمه تقربا منها إلى الباري عز وجل، فكانت لذلك البلاء محتسبة صابرة ولأنعم الله تعالى حامدة شاكرة.

علم العباس عليه السلام

يقول العلامة المحقق المرحوم السيد عبدالرزاق المقرم في كتابه (قمر بني هاشم): جاء المأثور عن المعصومين عليهم السلام أنهم قالوا: «إنَّ العَبّاسَ بْنَ عَلِيٍّ زُقَّ العِلْمَ زَقًّا»[٤٢].

ثم يقول: وهذا من أبدع التشبيه والاستعارة، فإن الزق يستعمل في تغذية الطائر فرخه حين لم يقوَ على الغذاء بنفسه، وحيث استعمل الإمام عليه السلام وهو العارف بأساليب الكلام هذه اللفظة هنا نعرف أن أبا الفضل عليه السلام كان محل القابلية لتلقي العلوم والمعارف منذ كان طفلا ورضيعا كما هو كذلك بلا ريب[٤٣].

دعاه أبوه عليه السلام في عهد الصبا وأجلسه في حجره وقال له: قل واحد، فقال: واحد، فقال: قل اثنان، فامتنع وقال: «إنِّي أسْتَحْيي أنْ أقولَ اثنَينَ بِلِسانٍ قُلْتُ بِهِ واحِداً»!! فقبَّل علي عليه السلام عينيه[٤٤].

لذا قال الإمام الصادق عليه السلام: «كانَ عَمُّنا العَبّاسُ نافِذَ البَصيرَةِ»[٤٥].

وقال العلامة المامقاني في شأنه عليه السلام: وقد كان من فقهاء أولاد الأئمة[٤٦].

ويقول المرحوم العلامة محمد باقر البيرجندي:

إن العباس من أكابر الفقهاء وأفاضل أهل البيت، بل إنه عالم غير متعلم، وليس في ذلك منافاة لتعلم أبيه إياه[٤٧].

العالِم الجسور يقرّ بعجزه في شأن علم العباس عليه السلام

يقال أن حديثا كان يدور في مجلس حول فضل العباس عليه السلام ومقاماته العلمية العالية، وكان في المجلس عالم زاهد وكان مغترا بعلمه ومعارفه ويرى نفسه في مرتبة أبي الفضل العباس عليه السلام في العلم والمعرفة والفضيلة بل أفضل منه!! فأخذ الحاضرون في المجلس بتأنيبه وتوبيخه.

بعد أيام رؤي ذلك الرجل الجسور في حرم العباس عليه السلام وقد ربط طرف حبل بعنقه والطرف الآخر بضريح العباس عليه السلام وهو يبكي أشد البكاء ويلوم نفسه ويعاتبها!!

سئل عن ذلك، فقال: رأيت البارحة في منامي أن مجلسا عظيما ومجللا قد عقد وكان في المجلس أكابر العلماء، فصاح رجل أن أبا الفضل العباس عليه السلام سوف يدخل المجلس!! وبعد لحظات وإذا برجل نوراني ذي هيبة ووقار دخل وجلس في صدر المجلس، فقام له الحاضرون إجلالا وتعظيما!! هنالك أحسست بالرهبة والخوف لما صدر مني من قبيح القول وتجاسري عليه.

نظر ذلك الرجل العظيم إلى الحاضرين بنظرة الرأفة والرحمة وأخذ يتحدث إليهم، ولما وقع بصره علي قال: ما تقول أيها الرجل؟!

أظهرت الندم على ما قلت في شأنه، فقال لي: لقد درستُ وتعلمتُ في مكتب أبي أمير المؤمنين عليه السلام وأخويَّ الحسن والحسين عليهما السلام، ووصلت إلى مرحلة اليقين في ديني، وأنت في شك من دينك وفي إمامة أئمة الحق عليهم السلام، أليس كذلك؟!

ثم ضرب بيده المباركة على فمي!! فاستيقظت من نومي مرعوبا، والآن أعترف بجهلي وضلالتي، ولذا جئت إلى محضره الشريف أتوسل به لكي يعفو عني ويلطف بي!![٤٨]

وهناك حدث آخر مماثل: أنه كان هناك رجل من أهل المطالعة - حسب الظاهر - يرى أن سلمان الفارسي أفضل من العباس عليه السلام علما ومعرفة، ويستند في ذلك إلى حديث أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال في شأن سلمان: «سَلْمانُ أَدْرَكَ عِلْمَ الأَوَّلِ والآخِرِ وَهُوَ بَحْرٌ لا يَنْزَحُ»[٤٩]، فرأى ذات ليلة في عالم الرؤيا أنه قد أقيم مجلس عظيم والعباس عليه السلام جالس في صدر المجلس ورأى سلمان الفارسي وهو واقف أمام العباس عليه السلام وقد ضم يديه إلى صدره احتراما وتعظيما، ثم التفت سلمان إلى الرجل وقال له: لمَ تقول ذلك أيها الرجل؟! أما تعلم أن خدمة العباس بن علي عليه السلام فخر لي وشرف!![٥٠].

أدب العباس عليه السلام

الأدب هو العلم الجامع لمحاسن الأقوال والأفعال ومكارم الأخلاق، والأدب من القيم الإنسانية والإسلامية الرفيعة يتزين بها الإنسان فتضفي على شخصيته المعنوية كمالا وجمالا.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أدَّبَ نَبِيَّهُ فَأحْسَنَ أدَبَهُ، فَلَمّا أكْمَلَ الأدَبَ قالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾»(٥١).

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد النخعي: «يا كُمَيْل، إنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله أدَّبَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وهو أدَّبَني وأنا أؤدِّبُ المُؤمِنينَ وأورِثُ الأدَبَ المُكَرَّمين»(٥٢).

وفي وصيته لابنه الحسن عليه السلام يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «يا بُنَيَّ، الأدَبُ لِقاحُ العَقْلِ وذَكاءُ القَلْبِ وعُنْوانُ الفَضْلِ»(٥٣).

ويقول عليه السلام أيضا: «مَنْ أخَّرَهُ عَدَمُ أدَبِهِ لَمْ يُقَدِّمْهُ كَثافَةُ حَسَبِهِ»(٥٤).

ويقول عليه السلام أيضا: «لا ميراثَ كَالأدَبِ»(٥٥).

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن العباس عليه السلام قد نشأ وترعرع في الجامعة العلوية الكبرى التي أسَّسها من تربَّى وتأدب على يدي خير البشر صاحب الخُلُق العظيم والدين القويم.

وعلى هذا يكون الأدب الرفيع وحسن الخلق ميزة تميز بها العباس عليه السلام طوال حياته الشريفة وتفوَّق بها على من حوله سوى سادات الأدب وأفاخمها أبيه أمير المؤمنين وأخويه الحسن والحسين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

وفي هذا المضمار نعطف بأبصاركم إلى بعض النماذج في أدب العباس عليه السلام وحسن سلوكه:

١- يروى أن العباس عليه السلام طوال الأربعة والثلاثين سنة من عمره الشريف وزمان صحبته لأخيه الحسين عليه السلام لم يخاطبه إلا بقوله: سيدي، مولاي، أو يا ابن رسول الله، إلا في اللحظات الأخيرة من

حياته حينما ضُرب بالعمود على رأسه المبارك وسقط على الأرض مقطوع اليدين يخور في دمه هنالك نادى أخاه قائلا: «أدْرِكْني يا أخي»!!

وفي ذلك مرتبة جليلة في الأدب السلوكي وتعظيم لمقام الإمامة والولاية.

يقول الشاعر:

آدابُ شِبْلِ عَلِيٍّ أفْضَلُ الأدَبِ
في الدينِ مَوروثَةٌ عَنْ سادَةِ العَرَبِ
عَنِ الوَصِيِّ عَلِيٍّ وهوَ والِدُهُ
وسَيِّدِ الرُسُلِ طَهَ خَيْرِ مُنْتَجَبِ
وإنَّما أفْضَلُ الآدابِ ما أُخِذَتْ
تَعَلُّماً عَنْ وَصِيٍّ صادِقٍ وَنَبِيّ
ما قالَ لِلسِّبْطِ إلا سَيِّدي أبَداً
ولَمْ يَقُلْ يا أخي يَوماً ويا ابْنَ أبي
إلا قَليلاً ومِنْها عِنْدَ مَصْرَعِهِ
نادَى أخي ونِداهُ واضِحُ السَّبَبِ[٥٦]

٢- ويروى - نقلا عن كتاب مستطرف الأحاديث - أن الإمام الحسين عليه السلام طلب ماء وهو على المنبر يخطب، فذهب العباس عليه السلام مسرعا إلى أمه أم البنين حيث أسرعت إليه بركوة ماء عاد يحملها إلى الحسين عليه السلام، وهذا يدل على أدبه الفائق واهتمامه الشديد بأخيه الحسين عليه السلام إلى حد كبير.

٣- وذكر البعض أيضا أن العباس عليه السلام أُعْطِي ذات يوم عنقودا من العنب، فخرج به إلى خارج البيت مسرعا، ولما سئل عن ذلك قال: أريد أن أقدم هذا العنقود إلى مولاي الحسين عليه السلام!![٥٧].

العباس عليه السلام في أقوال المعصومين عليهم السلام ومواقفهم

إن أهـل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام منزهون عـن العبث بالكلام واللغو في الحديث وكلامهم عين الحق ومنطقهم عين الصواب وشهادتهم غير مردودة، ونحن – كما ورد في الزيـارة الجامعة – نخاطب أئمتنـا عليهم السلام ونقول: «وقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وحَتْمٌ، ورَأْيُكُمْ عِلْمٌ وحِلْمٌ وحَزْمٌ».

ومن هذا المنطلق نورد طائفة عطرة من الأقوال الشريفة والمواقف العظيمة لأهل العصمة والطهارة في شأن العباس عليه السلام لنرى في مرآتها بعض كمالات العباس عليه السلام وجمال سيرته:

١ - أقوال أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام

أ – كما ذكـرنا سـابقا أن أمير المؤمنين عليه السلام أخبر أم البنين أن يدي العباس عليه السلام سـوف تقطعان في سـبيل الحسـين عليه السلام، ثم بشرهـا بمقام ولدها عند الله تبـارك وتعالى وأن الله سـوف يعوضه عن يديه جناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة كما فعل بعمه جعفر الطيار[٥٨].

ب – لما كانت ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان وأشرف علي عليه السلام على الموت أخذ العباس وضمه إلى صدره الشريف وقال: «وَلَدي، وَسَتَقَرُّ عَيْني بِكَ يَومَ القِيامَةِ»[٥٩].

وإن دل هذا القول على شيء فإنما يدل على عظمة مقام العباس عليه السلام وجلالة قدره عند سيد الموحدين وقائد الغر المحجلين وميزان أعمال الخلائق يوم الدين.

٢ - أقوال الصدِّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام

يـروى في أسرار الشـهادات نقـلا عن بعض كـتب المقاتل أنه إذا كان يوم القيامة واشـتد الأمر على أهـل المحشر بعث رسـول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنـين عليه السلام إلى فاطـمـة الـزهراء عليها السلام لتحضر مقام الشـفاعة،

فيقـول أمـير المؤمنين عليه السلام: «يا فـاطِمَـة، ما عِنْدَكِ مِنْ أَسْبابِ الشَّـفاعَةِ وما ادَّخَـرْتِ لأجْلِ هذا اليومِ الذي فيه الفَزَعُ الأَكْبَرُ؟!»

فتقـول فاطمـة عليها السلام: «يـا أميرَ المُؤمنـين، كَفانـا لأجْـلِ هـذا المَقـامِ اليَـدانِ المَقْطوعَتـانِ مِـنْ ابْنـي العَبَّاس»!![٦٠]

نَـرجو الشَّـفاعَةَ منهـم في المَعـادِ لنا
لَسنا مـن الـفـوزِ بـالـفِـردَوسِ في يـاسِ
وإنَّـمـا رَيُّـنـا مِـن حـوضِ كَـوثَـرِهِـم
كـأسٌ هَـنِـيٌّ رَوِيٌّ طـابَ مـن كـاسِ
فـالآمِـنـون مـن الـنـيرانِ شـيـعتُهـم
إنْ أوقِـدَتْ بالـحِـجـارِ الـصَّـلْـدِ والـناسِ
والـجـاحـدونَ لـهـم في قَـعْـرٍ مُظْـلِمَـةٍ
مـعَ الـشـيـاطـيـنِ فـي ذُلٍّ وإبـلاسِ
يُـكَـبُّ ظـالِـمُـهُـم والـقـاتِـلـون لَـهُـمْ
عَـلَـى المَـنـاخِـرِ في الـنّـيرانِ والـراسِ
إنْ تَـشْـتكي فـاطِـمُ الـزَّهْـراءِ ما لَـقِـيَ
أبْـنـاؤها مِـنْ صَـنـيـعِ الأمَّـةِ الـقـاسي
تَـجـيءُ تَـحْـمِـلُ رَأسَ الـسِّـبْـطِ مُـهْـجَـتَـهـا
وطِـفْـلَـهُ ويَـدَيْ ذي الـفَـضْـلِ عَـبّـاسِ
هُـنـاكَ يَـشْـتَـدُّ سَـخَـطَ الله إذْ غَـضِـبَـتْ
بِـنْـتُ الـنَّـبِـيِّ عـلى الـجـاني مـن الـنـاسِ[٦١]

٣ - أقوال سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام

كان للعباس عليه السلام منزلة عظيمة ومكانة مميزة عند أخيه الحسين عليه السلام، فهو حامل رايته ويمين ساعده ومركز ثقله، وقد أورد في شأنه أقوالا كثيرة ومواقف عديدة نذكر على سبيل المثال لا الحصر موقفين يدلان على ما كان يتميز بها عند الحضرة القدسية لسبط سيد الورى وإمام الهدى وخامس أصحاب الكساء:

أ- لما زحف القوم على مخيم أبي عبدالله الحسين عليه السلام عشية التاسع من المحرم وكان لزحفهم دوي

يوحي بالهجوم، قال الحسين(ع) لأخيه العباس(ع): «ارْكَبْ بِنَفْسِي أَنْتَ حَتَّى تَلْقاهُمْ وتَسْأَلَهُمْ عَما جاءَهُمْ»!![٦٢]

وأقول: أي مقام هذا الذي ناله أبو الفضل العباس(ع) بأن سيد الكائنات وشرف الممكنات ذا النفس الطاهرة والروح الزاكية التي أذهب الله تعالى عنها الرجس وعصمها من الدنس تكون فداء لروحه ونفسه!! روحي وأرواح العالمين لك الفداء يا أبا عبدالله!!

ب – بعدما وقع العباس(ع) على الأرض قرب نهر العلقمي أقبل إليه الحسين(ع) ورمى بنفسه عليه وأخذ يبكي وهو يقول: «جَزاكَ الله خَيْراً يا أَخِي، لَقَدْ جاهَدْتَ في الله حَقَّ جِهادِهِ»[٦٣].

ويقول بلسان الحال:

يا ابْنَ أَبي نَصَحْتَ أَخاكَ حَتَّى
سَقاكَ اللهُ كَأْساً مِنْ رَحيقِ
ويا قَمَراً مُنيراً كُنْتَ عَوْني
عَلَى كُلِّ النَّوائِبِ في المَضيقِ

وهناك أقوال كثيرة للإمام الحسين(ع) في شأن أخيه العباس(ع) سنوردها في فصل شهادته.

٤ - أقوال الإمام السجّاد(ع)

أ – يروى أنه في يوم عاشوراء وبعدما قتل الصبية والرجال من أهل البيت والأصحاب دخل الإمام الحسين(ع) في خيمة ولده الإمام السجاد(ع) ليودعه الوداع الأخير، فدار بينهما الحديث إلى أن قال الإمام السجاد(ع): يا أبتاه، أين عمي العباس(ع)؟! فقال(ع): يا بني إن عمك قد قتل وقطعوا يديه على شاطئ الفرات!! فبكى السجاد(ع) بكاء شديدا حتى غشي عليه!![٦٤]

ب – حينما أقبل الإمام السجاد(ع) من الكوفة إلى كربلاء في اليوم الثالث عشر من المحرم لدفن الجثث الزواكي من آل المصطفى(ص)، وبعدما انتهى من دفنها بقيت جثة واحدة مطروحة حول المسنّاة، فمضى إليه ولما رآه انكب عليه يقبّله وهو يقول: «عَلَى الدُّنْيا بَعْدَكَ العَفَا يا قَمَرَ بَني هاشِم وَعَلَيْكَ مِنِّي السَّلامُ مِنْ شَهيدٍ مُحْتَسِبٍ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُه»[٦٥].

ج – عن ثابت بن أبي صفية قال: نظر علي بن الحسين سيد العابدين صلى الله عليه وآله إلى عبيدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب فاستعبر ثم قال: «ما مِنْ يَوم أَشَدُّ عَلَى رَسولِ الله(ص) مِنْ يوم أُحُدٍ قُتِلَ فيهِ عَمُّهُ حَمْزَةَ بْنُ عَبْدِالمُطَّلِبِ أَسَدُ الله وَأَسَدُ رَسولِهِ وَبَعْدَهُ يومُ مُؤْتَة قُتِلَ فيهِ ابْنُ عَمِّهِ جَعْفَرُ بْنُ أَبي طالِب».

ثم قال عليه السلام: «وَلا يومٌ كيَومِ الحُسَينِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ ازْدَلَفَ إليهِ ثَلاثونَ أَلْفَ رَجُلٍ يَزْعمونَ أَنَّهُمْ مِنْ هَـذِهِ الأُمَّـةِ، كُلٌّ يَتَقَـرَّبُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَـلَّ بِدَمِهِ وهوَ بِاللهِ يُذَكِّرُهُـمْ فَلا يَتَّعِظونَ حَتَّى قَتَلـوهُ بَغْياً وظُلْماً وعُدْواناً».

ثـم قال عليه السلام: «رَحِـمَ اللهُ العَبَّاسَ فَلَقَدْ آثَرَ وأَبْلَى وفَدَى أَخاهُ بِنَفْسِـهِ حَتَّى قُطِعَتْ يَـداهُ فَأَبْدَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَـلَّ بِهِما جَناحَـيْنِ يَطيرُ بِهِما مَعَ المَلائِكَةِ في الجَنَّةِ كَما جَعَلَ لِجَعْفَرِ بْـنِ أَبي طالِبٍ، وإِنَّ لِلْعَبَّاسِ عِنْدَ اللهِ تَبارَكَ وتَعالَى لَمَنْزِلَةٌ يَغْبِطُهُ بِها جَميعُ الشُّهَداءِ يومَ القِيامَةِ»(٦٦).

٥ - أقوال الإمام الصادق عليه السلام

أ - يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «كانَ عَمُّنا العَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ نافِذَ البَصيرَةِ صُلْبَ الإيمانِ جاهَدَ مَعَ أَخيهِ الحُسَيْنِ وَأَبْلَى بَلاءً حَسَناً وَمَضَى شَـهيداً»(٦٧).

وكما قال الشاعر:

إيمانُ شِبْلِ عَلِيٍّ ظاهِرُ الأَثَرِ
لِلناظِرينَ كَما جاءَ في الخَبَرِ
بِأنَّهُ صُلْبُ إيمانٍ بَصيرَتُهُ
في الدينِ نافِذَةٌ أُكْرِمَ بِخَيْرِ سَري
فَدَى الحُسينَ بِنَفْسٍ لا مَثيلَ لَها
بَعْدَ الأئِمَّةِ والساداتِ لِلْبَشَرِ(٦٨)

ب - ورد في زيارة الإمام الصادق عليه السلام المخصوصة لأبي الفضل العباس عليه السلام أنه قال:

«السَّـلامُ عَلَيْكَ أَيُّها العَبْدُ الصَّالِحُ المُطيعُ للهِ ولِرَسـولِهِ ولأميرِ المُؤْمِنينَ والحَسَـنِ والحُسَيْنِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَـلَّمَ، السَّـلامُ عَلَيْـكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُـهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَرِضْوانُـهُ وَعَلَى روحِكَ وَبَدَنِكَ، أَشْـهَدُ وَأُشْـهِدُ اللهَ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى ما مَضَـى بِهِ البَدْرِيُّونَ والمُجاهِدونَ في سَـبيلِ اللهِ، المُناصِحونَ لَهُ في جِهادِ أَعْدائِـهِ، المُبالِغونَ في نُصْرَةِ أَوليائِهِ، الذابّونَ عَنْ أَحِبّائِـهِ، فَجَزاكَ اللهُ أَفْضَـلَ الجَزاءِ وأَكْثَرَ الجَزاءِ وأَوفَرَ الجَزاءِ وأَوفَى جَزاءِ أَحَدٍ مِمَّنْ وَفَى بِبَيْعَتِهِ واسْتَجابَ لَهُ دَعْوَتَهُ وأَطاعَ وُلاةَ أَمْرِهِ».

ثم يقول الصادق عليه السلام في نفس الزيارة:

«أَشْـهَدُ أَنَّكَ قَدْ بالَغْتَ النَّصيحَةَ، وأَعْطَيْتَ غايَةَ المَجْهودِ، فَبَعَثَكَ اللهُ في الشُّـهَداءِ، وَجَعَلَ روحَكَ مَعَ أَرْواحِ السُّـعَداءِ، وأَعْطاكَ مِنْ جِنانِهِ أَفْسَـحَها مَنْـزِلاً وأَفْضَـلَـها غُرَفـاً، وَرَفَعَ ذِكْرَكَ في عِلِّيِّينَ (في العالَمينَ)، وَحَشَرَكَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقينَ وَالشُّهَداءِ وَالصالِحينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفيقاً».

ثم يقول عليه السلام:

«أَشْهَدُ أَنَّكَ لَمْ تَهِنْ وَلَمْ تَنْكُلْ وأَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى بَصيرَةٍ مِنْ أمْرِكَ مُقْتَدِياً بِالصّالِحِينَ وَمُتَّبِعاً لِلنَّبِيّين»(٦٩).

مقتطفات من كمالات العباس عليه السلام

أسس الشخصية المعنوية

إن شخصية الإنسان بلا شك وترديد تعتمد اعتماداً أساسيا على التزكية والتعليم، وبعبارة أخرى الإنسان وأي موجود من الموجودات الأخرى يعيش بين قوتين متعاكستين وهما قوة الدفع وقوة الجذب.

على سبيل المثال إذا نظرنا إلى شجرة ما نرى أن هناك قوتين متلازمتين في نمو الشجرة وهما قوة الدفع وقوة الجذب، دفع الآفات والموانع وجذب عوامل النمو والتكامل.

وإجمالا إذا توقفت قوتا الجذب والدفع يكون الإنسان أو أي موجود آخر عرضة للسقوط إلى الهاوية والعدم، ونظام «الميتابوليسم» - نظام الهدم والبناء - في الإنسان والحيوان قائم على أساس هاتين القوتين.

الشجرة في سبيل التكامل والنمو تجذب عوامل مثل الماء والغذاء والحرارة والضوء والهواء الطلق، وفي نفس الوقت إذا لم يدفع المزارع الآفات عن الشجرة كالحشرات الضارة مثلا تبيد الشجرة وتموت قبل أن تُجنَى ثمارها.

وإذا نظرنا إلى تكوين الإنسان نجد أن الدم هو العنصر الأساسي في استمرار حياته، وتسبح في الدم أعداد هائلة من كريات الدم البيضاء وكريات الدم الحمراء، وفي كل مليمتر مكعب من الدم هناك ما يقارب ستة آلاف من كريات الدم البيضاء، أي أن في مجموع بدن الإنسان ما يقارب الثلاثين مليار من هذه الكريات البيضاء، وهذه الكريات البيضاء مأمورة بدفع الأجسام الغريبة عن البدن حتى يستكمل طريق النمو والتكامل، وأما كريات الدم الحمراء ففي كل مليمتر مكعب من البدن هناك ما يقارب خمسة ملايين من هذه الكريات أي ما يقارب خمسة وعشرين ألف مليار من الكريات الحمراء في مجموع البدن (أي ثمانية آلاف ضعف عدد سكان الكرة الأرضية)، وهذه مأمورة بجذب المواد الغذائية ومن ثم توزيعها على جميع أعضاء البدن.

وعلى هذا يمكننا أن ندرك مدى أهمية قوتي الدفع والجذب في بدن الإنسان، وإذا ما حدث أي خلل في هاتين القوتين (مثل الابتلاء بمرض الإيدز - نقص المناعة المكتسبة) قد يؤدي بالإنسان إلى خطر الموت.

وكذلك الحال بالنسبة لشخصية الإنسان المعنوية والباطنية والنفسية، أي أن مراحل الرقي والكمال في الإنسان تعتمد على قانون الجذب والدفع وهو ما يسمى بالتزكية والتعليم، فلابد للإنسان من دفع عوامل السقوط كالذنوب والمعاصي واتقاء الشبهات وتطهير الروح والنفس من الرذائل بالتقوى والاجتناب عن كل ما يسخط الباري عز وجل من جهة، ومن جهة أخرى جذب عوامل الارتقاء وكسب الفضائل والتزين بأعالي القيم كالإيمان والعلم وصالح الأعمال ومحامد الخصال ومكارم الأخلاق وسائر الطاعات والقربات، ومن ثم تتجلى الأنوار الإلهية وتظهر الفيوضات الملكوتية والرشحات الربانية في ذات الإنسان فيصل بها إلى الكمال وإلى ما خُلِق من أجله، وكما قال مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّما هِيَ نَفْسي أروضُها بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الخَوفِ الأكْبَرِ»(٧١).

يعبر علماء الأخلاق عن هاتين القوتين - الدفع والجذب - ونتيجتهما بـ «التخلية والتحلية والتجلية» على التوالي.

وردت في القرآن الكريم آيات مباركات تبين أن الغاية من بعث الله تبارك وتعالى الرسل والأنبياء إلى سائر البشر هي التزكية والتعليم، ونستدل على هذا المعنى في الآية ١٢٩ والآية ١٥١من سورة البقرة، والآية ١٦٤ من سورة آل عمران، والآية ٢ من سورة الجمعة.

ولتوضيح هذا الأمر نتطرق إلى إحدى هذه الآيات الكريمة:

يقول الله تبارك وتعالى في الآية ٢ من سورة الجمعة: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾(٧٢).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لَوْلا أَنَّ الشَياطينَ يَحومونَ عَلَى قُلوبِ بَني آدَمَ لَنَظَروا إِلَى المَلَكوتِ»(٧٣).

وفيما رواه الجمهور عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لَوْلا تَكْثيرٌ في كَلامِكُمْ وَتَمْريجٌ في قُلوبِكُمْ لَرَأَيْتُمْ مَا أَرَى وَلَسَمِعْتُمْ مَا أَسْمَعُ»(٧٤).

النتيجة

أن القاعدة الأساسية التي تُبنى عليها الشخصية المعنوية للإنسان هي الاجتناب عن المعاصي والذنوب والتحلي بالمعاني الإنسانية الرفيعة والقيم الأخلاقية السامية، ومن هذا المنطلق نتطرق إلى الجوانب المعنوية في شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام وما كانت تحمله نفسه الكريمة في طياتها من المعالي والكمالات والسمو والرفعة.

كنى العباس عليه السلام وألقابه

اللقب هو ما ينسب إلى شخص تبرز فيه صفات وخصال مميزة يشتهر بها من مدح أو ذم، والكنية لفظ يُسبق بكلمة «أب» للرجال و «أم» للنساء، وقد يأتي اللقب بصورة الكنية ليشير إلى ما يُنعت به صاحبه مثل أبو المكارم وأبو الإباء......

و المنهج الإسلامي في الشريعة المحمدية يتطرق إلى دقائق الأمور الاجتماعية لحفظ حرمة المسلمين وستر عيوبهم والحد من الإشاعات الشنيعة والأقوال القبيحة ولبناء مجتمع إسلامي خالٍ من الحقد والعداوة والبغضاء.

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه: ﴿.... **ولا تَنَابَزوا بِالأَلْقَابِ....**﴾[٧٥]، أي لا تذكروا بعضكم البعض بألقاب السوء مما تكرهون، وعلى هذا ينهى الإسلام بصورة صريحة عن كل لقب يسبب أدنى إيذاء وإهانة وتحقير لشأن المؤمن وحرمته.

ونظرا لكون العباس عليه السلام في جميع أبعاده الوجودية مثالا لمعالي القيم ووعاء لفضائل الشيم وحاويا على مزايا الكمال وجامعا لمحاسن الخلال، صارت كلها مجتمعة أوسمة وألقابا محمودة وكُنى حسنة، حتى إذا نودي بها كانت كالمرآة تتجلى فيها مكارم أخلاقه وتفصح عن مكنون فضائله وتشير بالبصائر إلى أنواره.

والعباس عليه السلام لُقِّب بـ «أبي الفضل»، وفيه جانبا الكنية واللقب، فأما كونه كنية لأنه كُني بابنه الفضل بن العباس عليه السلام، وكونه لقب لأنه اشتمل على الفضائل بمجامعها.

ويشير بعض من رثاه بقوله:

أبـا الفَضْلِ يـا مَــنْ أَسَّــسَ الـفَضْـلَ والإبـا
أَبَــى الــفَــضْــلُ إلا أنْ تَــكـــونَ لَـــهُ أبـا

والمتوسـمون لما توسـموا في جبينه المشرق سـمات الفضل وظهرت لهم في ملامحه الفضائل على حد ما قيل:

إنَّ الـــهِــلالَ إذا رَأيْـــــتَ نُـــمُـــوَّهُ
أيْـقَـنْـتَ أنَّــهُ سَـيَـصـيـرُ بَــدْراً كـامِـلا[٧٨]

وكان العبـاس عليه السلام أكثرهـم ألقابا، حتى أن العلامـة المامقــاني في (تنقيح المقـال) يقول: وقد عُدّت له ستة عشر لقبا!![٧٩]

المحـدِّث والمحقـق الجليل المرحوم الشـيخ ذبيح الله المحلاتي بعد قوله بـأن للعباس عليه السلام ألقابا كثيرة ومتعددة يذكر من جملة هذه الألقاب أربعة عشر لقبا وهي كالتالي:

١ - قمر بني هاشم
٢ - باب الحوائج
٣ - الشـهـيد
٤ - العبد الصـالح
٥ - السقّاء (ساقي العطاشى، أبو القربة)
٦ - المستجار
٧ - قائد الجيش
٨ - الحامي (المحامي، حامي الظعينة)
٩ - الفادي
١٠ - الضيغم (الضرغام)
١١ - المؤْثر
١٢ - كبش الكتيبة
١٣ - حامل اللواء
١٤ - ظهر الولاية والإمامة[٨٠]

إضافة إلى الألقاب المذكورة هناك ألقاب أخرى مثل:

١٥ - المواسي

١٦ – الواقي
١٧ – الأطلس
١٨ – باب الحسين
١٩ – الساعي
٢٠ – الصدّيق
٢١ – بطل العلقمي...[٨١]

وهنا نعطف بأبصاركم إلى شرح مختصر لهذه الألقاب والتي تشير كل واحدة منها إلى منقبة من مناقب أبي الفضل العباس عليه السلام المنيفة، وبُعدا ساطعا من أبعاد حياته الشريفة:

١- قمر بني هاشم

كما ذكرنا سابقا أن العباس عليه السلام كان يتميز بالحسن الباهر والجمال الزاهر وطول القامة والوسامة ذو طلعة غراء، يلمع البُشر من سيماه كأنه كوكب دري، ويشرق النور من مُحيّاه كأنه قمر بدري، تطوق دائرة وجهه هالة نيرة وضاءة فلُقِّب بذلك «قمر بني هاشم».

٢- باب الحوائج

لما كانت قلوب العارفين بالله والهة إلى حلاوة أنسه ولقائه، وأفئدتهم متطلعة إلى محل جنته ورضوانه، وأبصارهم شاخصة إلى مقام قربه ووصاله، وأرواحهم مشعِرة بالإخلاص واليقين، وأنفسهم معتقدة بكمال العبودية لله رب العالمين، فشروا الآخرة الباقية بالدنيا الفانية، هنالك حباهم ربهم بالسعادة الأبدية، وأغدق عليهم بالكرامات السرمدية، وأفرغ عليهم حلل الشفاعة الإلهية، فكانوا لعباد الله منارا ووسيلة يبتغون بها وجه الله، وبابا من أبواب الحوائج إلى الله.

لقد كان العباس عليه السلام مثالا لكمال الخلوص لله تبارك و تعالى، فلم يرض لنفسه إلا معالي العبودية للواحد الأحد وتمام الطاعة للفرد الصمد، فكان من المسارعين إلى مرضاته والمجاهدين في سبيل إعلاء دينه، وأبى إلا أن يحلَّ بفناء الحُجَّة وينيخ برَحْل العصمة ولا يشرب إلا من كأس الرسالة، فصبر على البلاء في جنب الله راضيا واستسلم للقضاء محتسبا وجاهد في الله حق جهاده حتى منحه الله تعالى من المكرمات أعلاها ومن النوائل أسناها، فصار وجيها عند الله في الدنيا والآخرة ومن المقربين، يتوسل به خلق الله لقضاء الحاجات وكفاية المهمات ونيل المكرمات.

ولقد علم الكثيرون أنه ما توسل به إلى الله متوسل ولا سأل بحرمته سائل إلا وقضيت حاجته ونال

مطلوبه، ولذلك سمي «باب الحوائج».

أَبو الفَضْلِ ابنُ داحي البابِ أعْلا
إلَهُ العَرْشِ في الدُنْيا مَقامَه
حَباهُ الله فيها مِنْهُ فَضْلاً
كَذا فَرْعُ النُّبُوَّةِ والإمامَه
فَكَمْ مِنْ لائِذٍ فيهِ حَماهُ
وَكَمْ مِنْ خائِفٍ أضْحَى عِصامَه
وكَمْ مُعْدَمٍ أضْحَى غِناهُ
وكَمْ ذي عاهَةٍ داوَى سِقامَه
وَكَمْ قَدْ حَفَّتِ الأخْطارُ شخْصاً
فَلَمّا جاءَهُ لاقَى السَّلامَه[٨٢]

وبلا شك وترديد وحسب ما يرويه الكثيرون من الوقائع أن التوسل بحضرة العباس عليه السلام وأمه أم البنين عليها السلام والنذر لهما قربة إلى الله تعالى تؤدي إلى المقاصد وتُقضَى بهما الحوائج، وسوف نذكر نماذج من هذه الوقائع في الفصل الأخير من الكتاب.

ويجدر بالذكر أن بعض العلماء قائلون بأن مجموع الحروف الأبجدية في كلمة «عباس» تعادل العدد (١٣٣)، وإذا توسل شخص بمولانا أبي الفضل العباس عليه السلام ١٣٣ مرة وذلك بعد صلاة الجمعة بهذا الدعاء سوف تقضى حاجته بإذن الله تبارك وتعالى:

«يَا كاشِفَ الكَرْبِ عَنْ وَجْهِ الحُسَيْنِ اكْشِفْ كَرْبي بِحَقِّ أخيكَ الحُسَيْنِ»!![٨٣]

٣- الشهيد

لعل الكثيرين قد تسابقوا في ميادين الجهاد والتضحية والفداء في سبيل إعلاء كلمة الحق وإدحاض الباطل، فنالوا بذلك أوسمة الشهادة وفازوا بدوام النعيم والسعادة خالدين فيها أبدا، إلا أن للشهادة منازل ودرجات مبنية على مراتب متفاوتة من الكمال واليقين.

والعباس عليه السلام من أولئك الذين عرجوا بأرواحهم إلى أشرف مقاعد العز والكرامة وأعلى قمم الفوز والسعادة فحاز على وسام لقب «الشهيد» مُرصَّعا بلآلئ من نور خرجت من أفواه عطرة ونفوس طاهرة مطهرة، فهذا علي بن الحسين سيد العابدين صلى الله عليه وعلى آله يقول: «وإنَّ لِلْعَبَّاسِ عِنْدَ اللهِ تَبارَكَ وتَعالى لَمَنْزِلَةً يَغْبِطُهُ بِها جَميعُ الشُّهَداءِ يَومَ القِيامَةِ»[٨٤].

وكما أوردنا سابقا أن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في مدح عمه العباس عليه السلام قال: «وَمَضَى شهيداً»[٨٥]، وفي زيارته للعباس عليه السلام يخاطبه قائلا: «أشهَدُ أنَّكَ قَدْ بالَغْتَ في النَّصيحَةِ وأعْطَيْتَ غايَةَ المَجْهودِ حَتّى بَعَثَكَ اللهُ في الشُّهَداءِ وَجَعَلَ روحَكَ مَعَ أرْواحِ السُّعَداءِ وأعْطاكَ مِنْ جِنانِهِ أفْسَحَها مَنْزِلاً وأفْضَلَها غُرَفاً وَرَفَعَ ذِكْرَكَ في عِلِّيِّين وَحَشَرَكَ مَعَ النَّبِيِّين والصِّدِّيقينَ والشُّهَداءِ والصّالِحينَ وَحَسُنَ أولَئِكَ رَفيقاً....»[٨٦].

لقد تألق العباس عليه السلام في مضمار الشهادة ورقى أعلى مدارج المجد والسعادة حتى غدا قطبا لامعا يدور في فلكه كل طالب شهادة وينجذب إلى ملكوته كل حامل راية حق فيسير على نهجه ويتبع سيرته.

٤- العبد الصالح

يقول الإمام الصادق عليه السلام في زيارته العباس عليه السلام: «السَّلامُ عَلَيْكَ أيُّها العَبْدُ الصّالِحُ»[٨٧].

العبودية مرتبة رفيعة وصف بها الله تبارك وتعالى الخلّص من أنبيائه وأصفيائه، وهذه المرتبة لا تعني المواظبة على العبادات اليومية المنقذة صاحبها من الهلكة والعذاب والآخذة بيده إلى فسيح الجنان فحسب، بل عبادة رب الأرباب حق عبادته بكمال المعرفة والبصيرة في الدين فيرى الإنسان ربه أهلا للعبادة كما قال سيد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام في حديثه المشهور: «إلهي ما عَبَدْتُكَ خَوْفاً مِنْ نارِكَ ولا طَمَعاً في جَنَّتِكَ ولَكِنْ وَجَدْتُكَ أهْلاً للعِبادَةِ فَعَبَدْتُكَ»[٨٨]، فجنة أولياء الله لقاؤه وناره فراقه، فكانت العبودية الخالصة وسيلة إلى القرب المعنوي والاتصال الروحاني بذات الله تباركت أسماؤه، وسبيلا إلى رؤية جماله وسبحات وجهه عز شأنه وجلاله.

ويمكن القول أن الأدب في العبودية لمقام العظمة الإلهية هي حجر الأساس لمباني القيم الشامخة والمعاني السامية ولها منازل ومدارج يرقى الإنسان للوصول إلى أعلاها درجة وأرفعها منزلة وأجلّها شأنا ليكون مصداقا حقيقيا للغاية التي خُلق من أجلها حيث يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلا لِيَعْبُدون﴾[٨٩].

والله سبحانه وتعالى حينما يريد إظهار صفة الكمال للخيرة من خلقه والنخبة من أوليائه والصفوة من بريته يختار لهم مقام العبودية، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو سيد الأنبياء والمرسلين يقول فيه الله تبارك وتعالى: ﴿سُبْحانَ الذي أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرامِ إلَى المَسْجِدِ الأقْصَى الذي بارَكْنا حَولَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إنَّهُ هُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾[٩٠]، أي أن الله تبارك وتعالى حينما أراد أن يرفع نبيه إلى أعلى مقامات الوصال والقرب إلى الكمال المطلق حيث يقول ﴿ثم دَنا فَتَدَلَّى * فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ

أدْنَى﴾(٩١) اختاره من مقام العبودية المطلقة للذات الأحدية الصمدية لا من مقام النبوة والرسالة.

لقد كان العباس عليه السلام بقوة إيمانه وشدة يقينه مثالا للخلوص في العبودية لله تبارك وتعالى، لم تخالطها شائبة شك ولم تكدرها سحابة ريب، شهد له بذلك الإمام المعصوم عن الزلل والناطق بالوحي صادق آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وتجلت العبودية والتوحيد في الوجود المقدس لأبي الفضل العباس عليه السلام منذ نعومة أظفاره، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام حينما أجلس ولده العباس عليه السلام في حجره وقال له قل واحد قال واحد ولكن حينما قال له قل اثنان امتنع وقال: «إنِّي أَسْتَحْيي أنْ أقولَ اثنَينَ بِلِسانٍ قُلْتُ بِهِ واحِداً»!! فقبَّل أمير المؤمنين عليه السلام عينيه(٩٢)، تلك العينين النافذتين على حقيقة الوحدانية وجلالة الربوبية.

وإذا كانت ذاته مهبطا للفيوضات الرحمانية والإشراقات الغيبية والنفحات القدسية منذ عهد الطفولة والصبا، فكيف به وهو شاب يافع يتخرج من الجامعة العلوية الكبرى وينهل من خزائنها العلوم اليقينية الحقة وتستكمل ذاته بالمعارف الإلهية المشرقة، فتستنير جوهرة روحه القدسية بالأنوار الملكوتية والأسرار اللاهوتية!!

لقد كان العباس عليه السلام في عبادته وكثرة صلاته وسجوده في أعلى المراتب وأعظمها، يقول الصدوق في (ثواب الأعمال): كان يُبصر بين عينيه أثر السجود(٩٣).

قدَّم العباس عليه السلام إخوته أمامه يوم عاشوراء ليُقتلوا دون أخيهم الحسين عليه السلام وينالوا ما ناله العظماء من فيض الشهادة والفناء في ذات الله تعالى، فقد ذكر أبو الفرج الإصبهاني في (مقاتل الطالبيين) أنه عليه السلام قال لأخيه من أبيه وأمه عبدالله بن علي عليه السلام – وهو ابن خمس وعشرين –: «تَقَدَّمْ بَيْنَ يَدَيَّ حَتّى أراكَ وأحْتَسِبُك»(٩٤)، وهذا يعني أن العباس عليه السلام كان يعلم علم اليقين أن مع الاحتساب لحكم الله والصبر على اللأواء والضراء والتسليم للمقَدَّر من القضاء مضاعفة للأجر والثواب عند الملك الوهاب.

يقول الله تعالى في حديث قدسي: «ما تَحَبَّبَ إلَيَّ عَبْدي بشَيءٍ أحَبُّ إلَيَّ مِمّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيهِ وإنَّهُ لَيَتَحَبَّبُ إلَيَّ بالنافِلَةِ حَتّى أحِبُّهُ فإذا أحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ ولِسانَهُ الذي يَنْطِقُ بِهِ ويَدَهُ التي يَبْطِشُ بِها ورِجْلَهُ التي يَمْشي بِها!!»(٩٥).

ويقول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «العُبودِيَّةُ جَوْهَرَةٌ كُنْهُها الرُبوبِيَّةُ»(٩٦).

فالعبودية أعلى مراتب الخضوع والتسليم لحكم الله تبارك وتعالى ورسله والأئمة المعصومين عليهم السلام الذين هم مظاهر أمر الله ونهيه والأدلاء عليه، ومن تقرَّب إلى الله تبارك وتعالى بكمال العبودية حلاه بصفاته وجعله مظهرا لآيات جماله وجلاله وأنعم عليه بخوارق العادات والكرامات

والقدرة على التصرف في عالم التكوين كما كانت لمولانا أبي الفضل العباسعليه السلام.

٥- السقّاء - ساقي العطاشى - أبو القربة

السقاية وإرواء العطاشى فضيلة من الفضائل الإنسانية عامة والإسلامية على وجه الخصوص، والتسلسل التاريخي للسقاية يرتبط بسقاية حجاج بيت الله الحرام في مكة المكرمة، وعبدالمطلب – الجد الأول لرسول اللهصلى الله عليه وآله – أعاد حفر بئر زمزم بجانب الكعبة بعدما كان معطلا لسنوات وجعله مركزا لسقاية الحجاج، وتعهد منصب السقاية من قبله أبوه هاشم وعمه المطلب ومن قبلهما أبوهما عبدمناف وكلهم ورثوا ذلك من جدهم قصي بن كلاب وهو المؤسس الأول للسقاية في بني هاشم، ومن بعد عبدالمطلب تولى أبو طالب أمر السقاية ومن ثم انتقلت إلى أخيه العباس[٩٧].

قال الإمام الباقرعليه السلام: «مَنْ سَقَى ظَمْآناً ماءً سَقاهُ اللهُ مِنَ الرَّحيقِ المَخْتوم»[٩٨].

وقالعليه السلام أيضا: «إنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالَى يُحِبُّ إبْرادَ الكَبِدِ الحَرّاءِ، وَمَنْ سَقَى كَبِداً حَرّاءَ أظَلَّهُ اللهُ في عَرْشِهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ»[٩٩].

وعن الصادقعليه السلام أنه قال: «مَنْ سَقَى الماءَ في مَوْضِعٍ يوجَدُ فيهِ الماءُ كانَ كَمَنْ أعْتَقَ رَقَبَةً، وَمَنْ سَقى الماءَ في مَوْضِعٍ لا يوجَدُ فيهِ الماءُ كانَ كَمَنْ أحْيا نَفْساً، وَمَنْ أحْيا نَفْساً فَكَأنَّما أحْيا الناسَ جَميعاً»[١٠٠].

وأما البلاء العظيم والخطب الجسيم الذي نزل بالحسينعليه السلام وعيالاته وصحبه في أحداث كربلاء هو منْع وصول الماء إليهم، ففي اليوم السابع من المحرم أمر ابن زياد عمر بن سعد أن يحول بين الحسينعليه السلام وأصحابه وبين الماء ولا يذوقوا منه قطرة، فبعث عمر بن سعد في الوقت عمرو بن الحجاج في خمسمائة فارس ونزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسينعليه السلام وأصحابه وبين الماء[١٠١]، ومن هنا كان الدور المنوط بالعباسعليه السلام هو جلب الماء إلى أهل البيت وأصحاب الحسينعليه السلام، حتى نال الشهادة وهو في ذلك السبيل.

ولُقِّب العباسعليه السلام لأول مرة بـ«السقَّاء» يوم السابع من المحرم حينما حوصر الإمام الحسينعليه السلام أشد المحاصرة ومنع وعياله وصحبه من الماء.

يقول المفيد رحمه الله: لما اشتد العطش بالحسينعليه السلام دعا بأخيه العباسعليه السلام فضم إليه ثلاثين فارسا وعشرين راجلا وبعث معهم عشرين قربة، فأقبلوا في جوف الليل (لعلها كانت ليلة الثامن من المحرم) حتى دنوا من الفرات وعليه رجال عمر بن سعد يرأسهم عمرو بن الحجاج وقد أُمِروا بحراسة الماء.

إلى أن قال: فدخل أصحاب الحسينعليه السلام الفرات وصاح عمرو بالناس فاقتتلوا قتالا شديدا، فكان قوما يقاتلون وقوما يملأون القرب حتى ملأوها ولم يقتل من أصحاب الحسينعليه السلام أحد ثم رجع القوم

إلى معسكرهم فشرب الحسين عليه السلام ومن كان معه، ومن هنا سمي العباس عليه السلام «السقّاء»[١٠٢].

يقول العلامة الدربندي أعلى الله مقامه في (أسرار الشهادات):

ومن ألقابه عليه السلام السقّا أو ساقي العطاشى وهذا يرجع لشدة اهتمامه عليه السلام بسقي وإيصال الماء إلى آل محمد صلى الله عليه وآله وقد اسودَّت الدنيا في وجوههم من شدة العطش، بالخصوص يوم السابع من المحرم، فإن للعباس صولات على شريعة الفرات حتى كشفهم وأقبل بالماء إلى مخيم الحسين عليه السلام ولعل هذا هو السبب في تخصيص اليوم السابع من المحرم لذكر مصيبة العباس عليه السلام في عُرف الخطباء[١٠٣].

لقد ورث العباس عليه السلام فضيلة السقاية عن أبيه وأجداده، فهذا أبوه أمير المؤمنين عليه السلام حينما بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة بدر أن يأتيه بالماء حين سكت أصحابه عن إيراده وهو البطل المقدام، فأتى القليب وملأ القربة وأتى به النبي صلى الله عليه وآله[١٠٤].

كان العباس عليه السلام قائما بجلب الماء وسقاية ركب الحسين عليه السلام وأصحابه ودوابهم من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى كربلاء، ولم يكن ذلك أمرا هينا ولا عملا يسيرا بل كان يستلزم المقدرة العظيمة والهمة العالية والسرعة في التنفيذ لإرواء أكثر من ألف رجل وامرأة إضافة إلى إرواء الحيوانات التي تشرب الماء أضعافا مضاعفة.

وأما يوم عاشوراء حينما ورد العباس عليه السلام الشريعة وملأ كفيه من ماء الفرات وأحس ببردها وقربها إلى فمه المبارك وقلبه يتلظى من الظمأ، تذكر عطش أخيه الحسين عليه السلام وأطفاله وحريمه فرمى بالماء ولم يشرب منه قطرة واحدة، لا من باب الطبع والفطرة بل من باب الإيثار والعلم بما للمؤثر على النفس من جزيل المثوبة والأجر لا سيما إذا كان المؤثر له إمام معصوم مفترض الطاعة، وبهذا كان مصداقا حقيقيا وأسوة عظيمة لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله حينما قال: «لِيَشْرَبَ ساقِي القَوْمِ آخِرَهُمْ»!![١٠٥]

ولما كان العباس عليه السلام يلي بنفسه سقاية أهل بيت الطهر والعصمة وإرواء بنات الوحي والتنزيل فقد أوْلَى ذلك الأمر حرصا شديدا واهتماما بالغا، وتبين ذلك حينما وقع على الأرض بجانب الفرات بعدما قطعت يمينه ويساره، ولما أراد الحسين عليه السلام أن يحمله إلى مخيمه فتح عينيه وقال له: «بِحَقِّ جَدِّكَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله دَعْني في مَكاني هذا فإنّي مُسْتَحٍ مِنْ ابْنَتِكَ سكينة وقد وَعَدْتُها بالماءِ وَلَمْ آتِها به!!»[١٠٦]

نعم، هكذا تفعل الهمم العالية برجالها والعزة الشامخة بأحرارها فيرفع الله تعالى ذكرهم في العليين ودرجتهم في الصالحين وكرامتهم في المقربين.

٦- المستجار

من الألقاب التي اشتهر بها أبو الفضل العباس بن علي عليه السلام هو «المستجار».

قال بعض أفاضل علماء العرب أن الشيخ محمد رضا الأزري - وهو شاعر معروف وفهيم ومن المحبين المخلصين لأهل البيت عليهم السلام - كتب أبياتا في شأن ومقام العباس عليه السلام ولما قال: «يَوْمَ أبو الفَضْلِ اسْتَجارَ بِهِ الهُدَى» - ومعناه أن يوم عاشوراء استجار الحسين عليه السلام بأخيه العباس عليه السلام - توقف في ذلك وتخيل أن هذا المصراع من البيت لعله غير مقبول عند الحسين عليه السلام ولذا توقف في مصراعه الآخر وما أتم البيت، فنام ورأى الحسين عليه السلام في منامه وقال عليه السلام له: ولنعم ما قلت ولقد أحسنت وأجدت، نعم لقد استجرت بالعباس عليه السلام يوم عاشوراء وتمّمه وقل بعده: «وَالشَّمْسُ مِنْ كَدَرِ العَجاجِ لِثامُها»، يعني استجرت به حين أن الأرض والسماء اغبرَّت من كثرة العجاج والغبار حتى كأن الشمس تلثمت وتنقبت بالعجاج!![١٠٧]

يَوْمَ أبو الفَضْلِ اسْتَجارَ بِهِ الهُدَى
والشَّمْسُ مِنْ كَدَرِ العَجاجِ لِثامُها

٧- قائد الجيش

حاز العباس عليه السلام منصب «قائد الجيش» في معسكر أبي عبدالله الحسين عليه السلام وهو أعلى منصب قيادي عسكري، فكانت شجاعته وشدة بأسه وثباته عند صعاب المواقف ومعرفته الكاملة بفنون الحرب والقتال موجبة لنيل هذا المنصب السامي الذي اختاره له حجة الجبار وخلَف المختار إمام الهدى ومصباح الدجى أبو عبدالله الحسين عليه السلام.

٨- الحامي - المحامي - حامي الظعينة

ورد لقب «المحامي» في شأن العباس عليه السلام على لسان الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول في زيارته: «فَنِعْمَ الصابِرُ المُجاهِدُ المُحامي الناصرُ والأخُ الدافِعُ عَنْ أخيهِ».

و«الظعن» يعني لغويا الهودج و «الظعينة» المرأة في الهودج، و «حامي الظعينة» كناية عن المحامي للهوادج التي كانت تحمل النسوة في رحلتها الطويلة من المدينة إلى كربلاء.

من الأمور التي كان الإمام الحسين عليه السلام يوليها جانبا كبيرا من الاهتمام هي حماية مخدرات الرسالة وحرائر النبوة وبنات الطهر والشرف والعصمة في تلك الدروب الوعرة والفيافي المقفرة، وهي من سجايا الأحرار النجباء وشيَم أصحاب الغيرة والحمية والإباء، فرأى أن يوكل من كان أهلا لتلك المهمة المقدسة وهو العباس عليه السلام، فكان حارسا للظعائن ومحاميا لمخيم أبي عبدالله الحسين عليه السلام وعيالاته وحريمه منذ سار عليه السلام بموكب النور والجلالة من المدينة إلى أرض كربلاء وطوال إقامتهم في تلك البقعة

التـي تشرفـت باحتضان الأخيار مـن آل المصطفى وأولاد المرتضى وذرية الزهـراء عليهم صلوات الله مادامت الأرض والسماء، فكان خير محام لسلالة الأكرمين والأطائب من آل طه وياسين.

أبـا الـفَـضْـلِ يـا ابْــنَ عَـلـيِّ الـفَـخـارِ
وصِــنْــوِ الــنَــبِـيِّ وحــامِــي الــذِّمَــارِ
حَــمَــيْــتَ ظَــعــائِــنَ آلِ الــرَّســولِ
بِـتِـلْـكَ الـفَـيـافِـي وتِــلْــكَ الـقِـفَـارِ
إلَــى أنْ نَــزَلْــتُــمْ بِــوادي الـطُّـفـوفِ
وقَــدْ كُـنْـتَ كَـالـحِـصْـنِ والـمُـسْـتَـجـارِ
وبَــعْــدَ افْــتِــقــادِكَ سَــارَ الـنِّـسـاءُ
بِــــذُلِّ الـــسِّـــبـــا وَذُلِّ الإســـارِ
فَـقُـمْ يـا كَــمِــيَّ[١٠٨] إلَــى ظَـعْـنِـكُـمْ
فَـقَـدْ سَــارَ يَـطْـوِي وِهــادَ الـقِـفَـارِ[١٠٩]

٩- الفادي

كان العبـاس عليه السلام مثـالا حقيقيـا للفداء والتضحية في سـبيل إعـلاء راية الحق والحفـاظ على الشرع المقدس والدين القويم بقيادة إمام الهدى وأمير التقى وأمين الله في الورى، وكان عالما أن الدنيا حجاب بينـه وبين النظر إلى جمال مراده ومحبوبه، فانصرفت نفسـه عـن زينتها وزخرفها ومالت إلى ربها وبارئها لتنعـم بالقرب والوصـال وتهنأ بلقاء ذي العزة والجلال، وقدمها رخيصة إلى السـاحة القدسـية إيثارا للآخرة على الأولى فرفعها الله تبارك وتعالى إلى محل الأمن والرضوان والنعيم والجنان.

لقـد جاهـد العباس عليه السلام في الله حق جهاده، وأخلص في مودتـه في القربى إخلاصا لا تدركه الحدود ولا توصفه النعوت، ففدى السـبط الزكي المنتجب بنفسـه الكريمة أعظم الفداء وأجزل العطاء حتى قال فيه سيد المجاهدين أبو عبدالله الحسين عليه السلام: «يا أخي، لَقَدْ جاهَدْتَ في الله حَقَّ جِهادِهِ»[١١٠]، وشـهد بوفائه وفدائه سيد الساجدين عليه السلام حينما قال: «رَحِمَ اللهُ العَبَّاسَ فَلَقَدْ آثَرَ وأبْلَى وفَدَى أخاهُ بِنَفْسِهِ حَتَّى قُطِعَتْ يَداهُ»[١١١].

ولم يقتصـر فـداء العباس عليه السلام أخاه بنفسـه فحسـب بل قدم أخوته مـن أبيه وولديـه (طبقا لبعض الروايـات[١١٢]) لنـصرة إمام الحق المبـين ضد أئمة الجور والظالمـين ولتحقيق المقاصد السـامية لثورته العظمى في وجه الظلم والطغيان.

١٠- الضيغم - الضرغام

كان العباس(عليه السلام) فارسا شجاعا قوي القلب ذا بأس شديد يشد على عدوه شدة الليث على فريسته حتى لُقِّب بـ «الضيغم» و «الضرغام»[١١٣]، وهذا الشبل من ذاك الأسد، فهو بضعة حيدر الكرار والوصي المختار، سيف الله المسلول على أعداء الله، وضارب خراطيم الخلق حتى قالوا لا إله إلا الله.

يقول الحلي في تأبينه العباس(عليه السلام):

عَـبَـسَـتْ وُجـوهُ الـقَـومِ خَـوفَ المَـوتِ
والـعَـبَّـاسُ فـيـهِـمْ ضـاحِـكٌ مُـتَـبَـسِّـمُ
بَـطَـلٌ تَـوَرَّثَ مِـنْ أبـيـهِ شَـجَـاعَـةً
فـيـهـا أنـوفُ بَـنـي الـضَّـلالَـةِ تُـرْغَـمُ

ومما لا شك فيه أن ما كان يبتغيه أمير المؤمنين(عليه السلام) من وراء زواجه بأم البنين(عليها السلام) أن تلد له غلاما فارسا، فرزقهما الله تعالى من البنين أربعة تورَّثوا من أسلافهم الشجعان البطولة والفروسية، وعلى رأسهم الابن الأكبر أبو الفضل العباس(عليه السلام) الذي شارك أباه في الحروب والغزوات على صغر سنه، فشهد التاريخ على حملاته الحيدرية وصولاته العلوية وبطولاته الهاشمية، يحارب أعداء الله حتى يجدّلهم صرعى كما كان يفعل عم أبيه الحمزة بن عبدالمطلب - أسد الله وأسد رسوله - وعمه جعفر الطيار، ناهيك عن أبيه سيد الفرسان وقاتل الشجعان أسد الله الغالب علي بن أبي طالب(عليه السلام).

١١- المؤثِر

الإيثار يعني لغويا تقديم شيء وتفضيله على شيء آخر، وهو فضيلة نفسية رفيعة وسجية إنسانية عظيمة وغاية السخاء ومنتهاه[١١٤].

نشأ العباس(عليه السلام) في بيت الجود والإيثار واكتسب من أهله الفضائل الحميدة والخصال النبيلة، ونزلت في مدح أبيه وأخويه وأمهما وهم سادات الفضائل ومفاخرها آيات وسور، فقد آثروا بأقواتهم وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين ابتغاء مرضاة الله فنزلت فيهم سورة هل أتى، وفي إيثار أبيه أمير المؤمنين(عليه السلام) النبي(صلى الله عليه وآله) حين بات في فراشه ليلة الهجرة آية ودلالة.

واستنار قلب العباس(عليه السلام) بمآثر الأطهار الجلية واستضاءت نفسه بفيوضات أنوارهم البهية واستشمت روحه عبقات أنفاسهم الزكية، يقفو آثارهم ويسلك سبيلهم ويتَّبع هداهم، حتى تجلت فيه فضيلة الإيثار في كربلاء في مواقف عديدة ومقامات شتى لا سيما حين بلغه كتاب الأمان من عبيدالله

بن زياد له ولأخوته على أن يحيد عن قافلة الحسين عليه السلام فردَّه براءة منه ومن أشياعه وتولّيا بأولياء الحق وأئمته والاستقامة على نهج الرسول وعترته، وكذلك حينما آثر أخاه الحسين عليه السلام بالماء وقلبه يتلظى من شدة العطش فلم يشربه حتى قضى.

وأبــــتْ نَـقـيـبَـتُـهُ الــــزَّكِــــيَّـــةُ رَيـهـا
وَحَـشـا ابْـنِ فـاطِـمَـةَ يَـشِـبُّ ضِـرامُـهـا[١١٥]

وفي تقديم أشقائه الثلاثة وولديه أمامه وهم الأعزة من أهله بعد أخيه الحسين عليه السلام للدفاع عن سبط الرسالة وسليل النبوة والفناء دونه في ساحته المقدسة لدليل واضح على إيثاره أخيه الإمام المعصوم من الذنوب والمبرأ من العيوب بالعزيز والنفيس صابرا محتسبا في ذات الله لما في ذلك من عظيم الأجر وحسن المثوبة والكرامة والزلفى لدى العزيز الحكيم.

لا أنْسَــى مَــوْقِــفَ عَـبَّــاسِ بْـــنِ حَـيْـدَرَةَ
يَــــوْمَ الــطُّــفــوفِ ولا آثـــــارَهُ أبـــدا
واســـى أخـــاهُ بِـنَـفْـسٍ لا عَـــديـــلَ لَـهـا
ودونـــــهُ قَـــــدَّمَ الإخْـــــوانَ والـــوَلَـــدا
كَـيْ يَـفْـتَـدي سِـبْـطَ خَـيْـرِ الأنْـبـيـاءِ بِـهِـم
أبـا الأئـمَّـةِ حَـقًّـا سَـيِّـدَ الـشُّـهَـدا[١١٦]

لقد أنزل الله تبارك وتعالى في شأن الأنصار آية مباركة تشيد بفعلتهم حينما آثروا المهاجرين على أنفسهم مع شدة الفقر والحاجة وقال عز وجل: ﴿.... وَيُؤْثِرونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحونَ﴾[١١٧]، وهذا مقام الإيثار على النفس، فكيف بالإيثار بالنفس وهو أعلى رتبة وأرفع مقاما!! وها هو العباس عليه السلام وقد تسنَّم الذروة العليا من الإيثار حينما بذل نفسه للموت رخيصة دون أخيه بعدما غاصت في بحر أنوار ريحانة رسول الأمة وانجذبت إلى شعاع الكبرياء والعظمة حتى نال من الشرف أرقاه ومن الجزاء أوفاه.

١٢ - كبش الكتيبة

لقَّب الإمام الحسين عليه السلام أخاه أبا الفضل العباس عليه السلام بـ«كبش الكتيبة» لما كان يتميز به من الجرأة والشجاعة والإقدام في الأهوال ساعة الزحف ومعرفة فنون الحرب والقتال، فكان في طليعة جيشه ومقدَّم عسكره، وفي ذلك مقام لا يدانيه أحد في العظمة ولا يعادله في الشرف والرفعة.

يقول أحدهم بلسان حال أبي عبدالله الحسين عليه السلام:

عَـبّـاسُ كَـبْـشُ كَـتـيـبَـتي وَكَـنـانَـتِـي

وسَـــرِيُّ قَـــوْمِـــي[١١٨] بَـــلْ أعَـــزُّ حُـصـونـي

ويقول الشيخ محمد رضا الأزري:

اليَـومُ بـانَ عَـنِ الكَـتـائِبِ كَـبْـشُـهـا
الـيَـومُ فَـلَّ عَـنِ البُـنـودِ نِـظـامُـهـا

ورد في بعض الروايات أن العباس عليه السلام حينما وقع بجنب الفرات انحنى عليه الحسين عليه السلام يريد أن يحمله فقال: أيْنَ تُريدُ يا أخي؟! قال: إلى الخيمَة، فقال: يا أخي دَعْني في مَكاني هذا، فقال: لماذا؟! فقال: «إنِّي مُسْتَحٍ من ابنتِكَ سكينة وقد وَعَدْتُها بالماءِ ولمْ آتِها به والثاني أنا كَبْشُ كتيبتِكَ ومَجْمَعُ عَدَدِكَ، فإذا رآني أصحابُك وأنا مقتولٌ فلرُبَّما يَقِلُّ عزمُهم ويذلُّ صبرُهم» فقال الحسين عليه السلام: «جَزَيتَ عن أخيكَ خيراً حيث نَصَرْتَني حيّاً وميِّتاً»[١١٩]

وعلى هذا يكون العباس عليه السلام أسوة للسالكين وقدوة لأهل الثبات واليقين والمتمسكين بحبل الله المتين وأتباع آل سيد المرسلين عليه وعلى آله صلوات الله أجمعين.

١٣- حامل اللواء

حمل اللواء شعار ورمز تنتظم به العساكر في المعارك والحروب ويجتمع به الشمل وتتوحد به الصفوف وتلقي الرعب في قلوب الأعداء مادامت ترفرف عالية خفاقة، وفي سقوطها يتبدد الجمع ويتفرق العدد وتضعف النفوس وترتاع القلوب.

وبهذا يكون حمل اللواء مفخرة يتهافت عليها الرجال[١٢٠] فلا ينالها إلا من كان له صيت في الشجاعة وعلو الهمة ورباطة الجأش ويتمتع بقوة بدنية عالية لحمله أيما كانت ظروف الحرب والقتال لكونه هدفا لمرمى الأعداء ومرصدا لضرباتهم ومقصدا للظفر عليه، فيحرص على رفعها عالية أشد الحرص وإن تقطعت أعضاؤه وتبددت أوصاله.

ولذلك لما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بعسكر إلى مؤتة والتقى المسلمون بجموع هرقل من الروم اقتتلوا قتالا شديدا وكان اللواء يومئذ مع زيد بن حارثة فقاتل به حتى شاط في رماح القوم ثم أخذه جعفر بن أبي طالب فقاتل به قتالا شديدا ولما قطعت يداه ضم الباقي من يديه القطيعتين على اللواء لئلا يسقط فيتضعضع جيش المسلمين، فضُرب على رأسه فوقع ميتا فأخذ اللواء عبدالله بن أبي رواحة الأنصاري وقاتل حتى قتل[١٢١].

وأما يوم عاشوراء يوم الملحمة الكبرى والواقعة العظمى فقد أعطى سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام اللواء الأعظم إلى أخيه البطل الدعّاس[١٢٢] أبي الفضل العباس عليه السلام علما منه بشجاعته الفذة

وبسالته النادرة ويقينا منه بكفاءته العالية ومقدرته الواسعة لتحمل هذا الأمر الإلهي المقدس.

يقول الشاعر بلسان حال الإمام(ع):

لِمَنِ اللِّواءَ أعْطِي ومَنْ هُوَ جامِعٌ
شَمْلي وفي ضَنْكِ الزِّحامِ يَقينِي
أمُنازِلُ الأقْرانِ حامِلُ رايَتِي
ورَواقُ أخْبِيَتي وبابُ شؤوني[١٢٣]

امتثل العباس(ع) لأمر أخيه فحمل لواء الحق والكرامة وسعى في إعلائه ما بقيت روحه بين جنبيه يحارب به أعداء الله وأعداء رسوله استجابة لدعوة إمام الحق وسيد الخلق من آل المصطفى والطهر الطاهر من نسل المرتضى فجاهد بين يديه وأبلى بلاء حسنا، ولم يزل يقاتل حتى قطعت يداه الشريفتان فلم يثنه ذلك عن حمل اللواء ولم يصرفه عن طريق الحق والجهاد فانكب على السيف بفيه وأخذ الراية بساعديه وضمه إلى صدره وهو يقول: «هكذا أحامي عَنْ حَرَمِ رَسولِ الله»، ولم يزل يحامي حتى ضربوه بعمود من حديد ففلق هامته فسقط على الثرى[١٢٤] وسقط معه اللواء.

أمُسَنِّدٌ ذاكَ اللِّوا صَدْرُهُ
وقَدْ قُطِّعَتْ مِنْهُ يُمْنَى ويُسْرَى
لَثَنَّيْتَ جَعْفَرَ في فِعْلِهِ
غَداةَ اسْتَضَمَّ اللِّوا مِنْهُ صَدْرا
وأبْقَيْتَ ذِكْرَكَ في العالَمينَ
يَتْلونَهُ في المَحاريبِ ذِكْرَى
وأوْقَفْتَ فَوقَكَ شَمْسَ الهُدَى
يُديرُ بِعَيْنَيْهِ يُمْنَى ويُسْرَى
وألْقَوا لِواهُ فَلَفَّ اللِّواءَ
ومَنْ ذا تُرَى يَسْطيعُ[١٢٥] نَشْرا[١٢٦]

١٤- ظهر الولاية والإمامة

كما أن الظهر هو العمود المستحكم الذي يستقيم به البدن ويعتمد عليه في الحركة والسكن كذلك كان دور العباس(ع) كالظهر من بدن الولاية والإمامة، يرعى حريمها ويصون حرمتها ولم يألُ جهدا في الدفاع عن هذا المنصب الإلهي العظيم والنهج القويم والصراط المستقيم حتى لقِّب بـ«ظهر الولاية» و «ظهر الإمامة»، وقد لقِّب العباس(ع) بذلك حينما قال له أبو عبدالله الحسين(ع) بعدما رآه صريعا على

شاطئ الفرات: «الآن انْكَسَرَ ظَهْرِي»[١٢٩]!!

يقول العلامة الدربندي في (أسرار الشهادات):

أن كل شيء مما يُرى ومما لا يُرى من أي عالم كان من عوالم الإمكان في ربقة إطاعة صاحب الولاية المطلقة وفي سلسلة الانقياد لأوامره وإرادته، إذا انكسر ظهر ولي الله الذي هو بمنزلة القلب في عوالم الإمكان في كل نشأة من النشآت وبأي معنى أخذْتَ الكسر - من حقيقته ومجازه ظاهره وباطنه - انكسر ظهر جميع الموجودات من عوالم الإمكان، أي انكسار ظهر كل من ذلك إنما هو بحسبه وصقعه، وذلك الانكسار في الكل كان في الوقت الذي تكلم الإمام عليه السلام بذلك، بل لا استبعاد في سريان حكمه في الأعصار والدهور وأهلها عصرا بعد عصر وجيلا بعد جيل وهلم جرا[١٣٠].

١٥- المواسي

قال ابن الأثير في (النهاية) أن المواساة تعني لغويا المساهمة والمشاركة وأصلها الهمزة قلبت واوا تخفيفا، وقال الفيروزآبادي في (القاموس) الإسوة بالكسر أو الأُسوة بالضم ولا يكون ذلك إلا من كفاف فإن كان من فضل فليس بمواساة.

وأما العباس عليه السلام فقد كانت مواساته لأخيه الحسين عليه السلام بالإيمان والتقوى واليقين يريد بذلك وجه الله تبارك وتعالى والمودة في قربى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى جرى مدحه على لسان الإمامة والعصمة.

فإمام العصر والزمان الحجة بن الحسن المهدي (عج) في زيارة الناحية المقدسة لقَّب عمَّه العباس عليه السلام بـ «المواسي» حيث يقول (عج): «السَّلامُ عَلَى أبي الفَضْلِ العَبَّاسِ بْنِ أميرِ المُؤْمِنينَ، المُواسِي أخاهُ بِنَفْسِهِ....»، كما روي عن صادق آل محمد عليه السلام في زيارة العباس عليه السلام في يوم عرفة هذه العبارة: «أشْهَدُ لَقَدْ نَصَحْتَ للهِ ولِرَسولِهِ ولأخيكَ فَنِعْمَ الأخُ المُواسِي»[١٣١].

١٦- الواقي

من الخصال التي تميز بها أبو الفضل العباس عليه السلام هي حمايته الجادة والمخلصة عن إمامة الحق وحق الإمامة حتى لقبه صاحب العصر والزمان (عج) بـ «الواقي» كما ورد في زيارة الناحية المقدسة، فقد كان العباس عليه السلام درعا واقيا وتِرْسا محاميا يردُّ عن صدر الإمامة والخلافة الإلهية الحقة كيد الكائدين وبغي الظالمين، وكان من الإخلاص والوفاء بالعهد على حماية حريم الحق أن رآه آل المصطفى صلوات الله عليهم يوم الطف كهفا وسيعا وحصنا منيعا وركنا يستندون إليه بينما أذهب عن أعين الأعداء قرتها وسلب منامها إلى الوقت الذي استشهد فيه عليه السلام، فقلب القضاء الموازين وقرَّت عيون عسكر

ابن الطلقاء وبكت عيون بنات سيد الأنبياء، وكان كما قال أبو عبدالله الحسين عليه السلام في استشهاد أخيه العباس عليه السلام:

الـيَـومُ نَـامَـتْ أعْـيُـنٌ بِـكَ لَـمْ تَـنَـمْ
وتَسَهَّدَتْ أُخْـرَى فَعَزَّ مَنَامُها[١٣٢]

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث شريف: «حَرْسُ لَيلَةٍ في سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أفْضَلُ مِنْ ألْفِ لَيْلَةٍ يُقامُ لَيْلُهَا وَيُصَامُ نَهَارُهَا»[١٣٣].

وأما ليلة عاشوراء!! تلك الليلة التي بات فيها آل الله وأولياؤه بين راكع وساجد وتالٍ للقرآن لهم دوي كدوي النحل ينتظرون طلوع فجر الشهادة ويوم الملحمة الكبرى يتوسطهم ريحانة المصطفى ونجل المرتضى وقرة عين الزهراء سيد الشهداء أبو عبدالله الحسين عليه السلام، وقد أخذ العباس عليه السلام على عاتقه في تلك الليلة حراسة حريم رسول الله صلى الله عليه وآله راكبا فرسه كأنه أسد على باب عرينه، يطوف حول الأخبية ينظر يمينا وشمالا كي لا يقترب أعداء الله ورسوله من تلك الحظيرة القدسية، حتى روي أن زهير بن القين وهو أحد أصحاب أبي عبدالله الحسين عليه السلام الأوفياء الذين استشهدوا بين يديه يوم عاشوراء حينما أتى العباس عليه السلام يريد أن يذكِّره بوصية أبيه أمير المؤمنين عليه السلام رأى العباس عليه السلام أن الخيام معرَّضة لخطر العدو في أية لحظة فلم ينزل من على ظهر فرسه، ولكنه أجابه قائلا مادمت ذكرت اسم أبي عليه السلام فليس من اللائق أن أدعك ولا أسمع وصيته، قل ما عندك وأنا راكب فرسي، هنالك ذكر زهير وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه العباس عليه السلام[١٣٤] كما أشرنا إلى ذلك سابقا في باب زواج أمير المؤمنين عليه السلام بأم البنين عليها السلام.

١٧- الأطلس

كان العباس عليه السلام يُدعى بـ «الأطلس»، وكلمة الأطلس تعني البطل المحارب والشجاع الحازم، فقد شهدت ساحات القتال والحروب فروسية العباس عليه السلام وشهامته ما لم تشهده لغيره من الفرسان ولم تُقَس بشجاعته ورباطة جأشه إلا شجاعة أبيه وأخيه، ولم يستسلم لظروف القتال وصعابها مهما اشتدت عليه، حتى أنه حينما قطعت يداه الشريفتان واستقبل ببدنه الشريف الضربات والطعان واصل القتال ونازل الشجعان بكل ما يملك من قوة وبسالة وقد أحاطت به جيوش وعساكر قوامها الآلاف من المحاربين، ويمكن القول أن معنى الاستسلام وشبح الخوف لم يجدا لهما سبيلا إلى قلب العباس عليه السلام والذي أفرغه من جميع مفردات الخضوع والمذلة إلا ما كان خالصا لله وفي سبيل الله تبارك و تعالى[١٣٥].

١٨- باب الحسين عليه السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في شأن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أنا مَدينَةُ العِلْمِ وعَلِيٌّ بابُها، فَمَنْ أرادَ المَدينَةَ فَلْيَأْتِ البابَ»[١٣٦].

يتبين لنا من الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد جعل أمير المؤمنين علي عليه السلام حلقة وَصْل بينه وبين الناس والواسطة التي يمكن بها التقرب إليه صلى الله عليه وآله والانتفاع بفيض علومه والتشرف بنيل معارفه فهو أخص الناس به وأقربهم إليه.

وكذلك العباس بن علي عليه السلام، فقد كان أقرب الناس إلى أبي عبدالله الحسين عليه السلام وأخصهم به وأعظمهم شأنا لديه، وعلى هذا فالعباس عليه السلام كان ولا يزال - حيا وميتا - هو باب أبي عبدالله الحسين عليه السلام والواسطة الحقيقية بين الحسين عليه السلام والناس، ولقبه بباب الحوائج إنما كان من هذا المنطلق أن يكون العباس عليه السلام هو الواسطة لنيل المطالب وقضاء الحوائج والتقرب إلى آل المصطفى صلى الله عليه وآله والمودة في القربى.

نُقل عن العلاّمة الطباطبائي رضي الله عنه - صاحب تفسير الميزان - أنه سمع من سيد السالكين وبرهان العارفين السيد علي القاضي رضي الله عنه - أستاذ العلاّمة الطباطبائي في العرفان - أنه قال ذات يوم: في بعض حالات الكشف اتضح لي أن الوجود المقدَّس لأبي عبدالله الحسين عليه السلام هو مظهر الرحمة الإلهية الواسعة، وأن باب ذلك الوجود المقدس هو ساقي عطاشى كربلاء وسيد الإباء والوفاء وباب الحوائج إلى الله أبو الفضل العباس صلوات الله وسلامه عليه[١٣٧].

قَصَدْتُكَ قَبْلَ ابْنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وأدْمُعُ عَيني كالحَيا في انْسِكابِها
لأنَّكَ في كُلِّ الحوائِجِ بابُهُ
وهَلْ يَقْصُدونَ الدارَ مِنْ غَيْرِ بابِها[١٣٨]

١٩- الساعي

جاء في زيارة الناحية المقدسة لقب «الساعي» لأبي الفضل العباس عليه السلام، فقد سعى العباس عليه السلام وجاهد بالنفس والنفيس لتحقق الغايات السامية والمطالب الحقة لنهضة أبي عبدالله الحسين عليه السلام، ولم يدخر جهدا ولم ينكل لحظة واحدة في ذلك السبيل حتى غدا الشخصية الثانية في تلك الثورة المباركة بعد أخيه الحسين عليه السلام.

لم يُظهـر العبـاسعليه السلام في تلك النهضة أدنى معـاني التخلف واللامبالاة، بـل كان مظهرا من مظاهر الحـق والذي تجسـدت فيه معاني الوفاء والإخلاص لمقـام الإمامة المنصوصة ورتبـة الولاية المفروضة حتى قال في شـأنه صادق آل محمدصلى الله عليه وآله: «أشْـهَدُ أنَّكَ لَمْ تَهِنْ ولَمْ تَنْكُلْ»[139]، وكان سعيه في ساحة الجهاد والقتال في الذروة العليا حتى أنه حينما قطعت يمناه تابع القتال وهو يرتجز ويقول:

وَاللهِ إنْ قَطَعْتُمُ يَمِيني
إنِّي أُحامِي أَبَداً عَنْ ديني
وَعَنْ إمامٍ صادِقِ اليَقينِ
نَجلِ النَّبِيِّ الطّاهِرِ الأَمينِ[140]

٢٠- الصِدِّيق

ورد في زيـارة العباسعليه السلام يومي عيد الفطر وعيد الأضحى المباركين هذه العبارة: «السَّـلامُ عَلَيْكَ أيُّها العَبْدُ الصَّالِحُ وَالصِّدِّيقُ المُواسِي»[141].

وفي المصطلـح الأدبي لفظ «الصدِّيق» صيغة مبالغة والمـراد منه المبالغة في الصدق والصداقة، وهي من الألقاب التي لُقِّب بها العباس بن عليعليه السلام والدال على إخلاصه وصدقه في القول والفكر والعمل، وهي من الألقاب التي يتميز بها الأنبياء والمعصومون صلوات الله عليهم أجمعين.

نستنبط من هذه الشـهادة التي وردت على لسان الطـهـر والعصمة في شأن أبي الفضل العباسعليه السلام أن حقيقة الصدق والإخلاص قد أحاطت بشخصية العباسعليه السلام في جميع أبعاده الوجودية حتى أدخلته في دائـرة الصدِّيقـين، وفي الواقـع كانت إمضـاءً تأييديّاً وختماً تكميليـًّا لسـائر ألقابـه المباركة، وبعبارة أخـرى يمكـن القول أن لقب «الصدِّيـق» لأبي الفضل العباسعليه السلام دلالة واضحـة وعلامة مؤكدة على كمال صدقٍ وجلاء حقيقةٍ لألقابه الأخرى.

٢١- بطل العلقمي

نظرا للبطولات العظام والصولات الجسام التي أبداها أبو الفضل العباسعليه السلام عند نهر العلقمي[142] لقب بـ «بطل العلقمي».

وقد أفرد العالم المتبحر والمحقق المرحوم العلامة الشـيخ عبدالواحد بن الشـيخ أحمد آل مظفر كتابا مفصلا عن حياة أبي الفضل العباسعليه السلام يحتوي على ١٢٠٠ صفحة مجزأة على ثلاثة أجزاء بعنوان «بطل العلقمي».

وجه أبي الفضل العباس عليه السلام في مرآة معركة صفين

إشارة

كان العباس عليه السلام يعيش في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جانب والده وأخويه، وبعدما توفي عثمان بن عفان وبايع المسلمون أمير المؤمنين علي عليه السلام للخلافة كان العباس بن علي عليه السلام يسعى بكل جهده وطاقاته وفي محضر الخلافة العلوية أن يحقق الأهداف الإسلامية والشعارات المحمدية السامية.

بعد مضي عدة شهور على تلك الخلافة العادلة والحقة غدر جمع من أولئك الذين بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام فنقضوا البيعة ونكثوا العهد وخرجوا متجهين إلى البصرة واستولوا عليها ثم أشعلوا فيها الفتنة وجمعوا الناس لقتال أمير المؤمنين عليه السلام مستخفين ببيعته عليه السلام، فاستجاب لهم ضعاف النفوس ومرضى القلوب والذين عُرفوا بعد ذلك بـ «الناكثين»(١٤٣).

فخرج أمير المؤمنين عليه السلام مع جمع من أصحابه من المدينة ليردَّ العصاة المتمردين عن غيِّهم، ولما رأى أن الفتنة قد اندلعت في البصرة غيَّر مسيره إليها ليخمد فتنتها أولا ثم يتوجه بعسكره إلى صفين، ولكن أصحاب الجمل لم يمتثلوا لأمر ولي الله ولم تنفعهم الذكرى بطاعة وصي رسول الله، فابتدأوا بالقتال واندلعت الحرب بين الفئتين وذلك عام ٣٦ من الهجرة، وكان النصر حليف أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه، وقيل أن عدة من قتل من أصحاب الجمل ثلاثة عشر ألفا ومن أصحاب علي عليه السلام خمسة آلاف(١٤٤) ثم سار أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة وسيَّر عائشة إلى المدينة.

وكان للعباس عليه السلام دور فعّال في حرب الجمل، ولكن نظرا لصغر سنه آنذاك - في العاشرة أو السادسة عشر من عمره الشريف - لم يرد ذكره في التاريخ.

وأما وقعة صفين الكبرى فقد كانت من الحروب الطاحنة والطويلة الأمد ومن أشد الحروب التي قامت في زمن خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام والتي استمرت ثمانية عشر شهرا حارب فيها أمير

المؤمنين عليه السلام الضالين والمنحرفين عن الحق والذين عرفوا فيما بعد بـ «القاسطين».

وكان العباس عليه السلام يقاتل أهل الشام إلى جانب أبيه وأخويه عليهما السلام، وقد ذكر بعض المؤرخين ومنهم أخطب الخوارزمي في (المناقب ص ١٥٤) أن العباس عليه السلام شهد صفين وهو في السابعة عشر من عمره، وعلى هذا اعتبر أن مولده الشريف كان قبل عام ٢٦ من الهجرة وذلك أن تلك الحرب اندلعت في أواخر عام ٣٦ من الهجرة.

ويقول البعض أن العباس عليه السلام حينما شهد وقعة صفين كان في الثانية عشر من عمره ولكن نظرا لطول قامته وكمال هيئته كان يبدو وكأنه في العشرين من العمر[١٤٥].

وعلى أي حال فإن المواقف التي ذكرها المؤرخون للعباس عليه السلام في وقعة صفين كشفت عن شجاعته وبسالته على الرغم من صغر سنه، ونشير في ذلك إلى حادثتين:

١- العباس عليه السلام عقيب الفتح العظيم في صفين

دخل معاوية بن أبي سفيان صفين في جيش قوامه خمس وثمانون ألف محارب واستولى على نهر الفرات، ثم أرسل أبا الأعور السلمي ومعه أربعون ألف رجل لحراسة شريعة الفرات ومنعوا عليّا عليه السلام وأصحابه الماء حتى شكى المسلمون العطش، فأنفذ أمير المؤمنين عليه السلام فوارس لكشف الفرات فرجعوا خائبين، فضاق صدره، فقال له ولده الحسين عليه السلام: «أمْضي إليه يا أبَتاه!!»، فقال: «امضِ يا وَلَدي»، فمضى إليه الحسين عليه السلام مع فوارس من الصحابة المخلصين لأمير المؤمنين عليه السلام – أمثال مالك الأشتر النخعي – إلى الفرات وحمل على أبي الأعور وهزمه وتفرق أصحاب معاوية عن الماء وهلك بعضهم، ثم بنى خيمته وحط فوارسه وأتى إلى أبيه وأخبره، فبكى علي عليه السلام فقيل له: «ما يُبْكيكَ يا أميرَ المؤمنين وهذا أوَّلُ فَتْحٍ بِبَرَكَةِ الحسين عليه السلام!!»، فقال: «ذَكَرْتُ أنَّه سيُقْتَل عَطْشاناً بِطَفِّ كَرْبَلاء حتّى يَنْفِرَ فَرَسُهُ ويُحَمْحِمَ ويَقُولَ: الظَّليمةُ الظَّليمةُ لأمَّةٍ قَتَلَتْ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّها»[١٤٦].

وقال فخر الدين الطريحي في (منتخب التواريخ) أن العباس عليه السلام كان في يوم صفين عونا وعضدا لأخيه الحسين عليه السلام حيث أعانه في فتح الفرات وأخذ الماء من أصحاب معاوية وهزم أبا الأعور عن الماء[١٤٧].

٢- الشاب الملثّم يصرع ثمانية من صناديد عسكر معاوية

قال الفاضل المتبحر العالم الحاج الشيخ محمد باقر البيرجندي القائيني في كتابه (الكبريت الأحمر) أن العباس عليه السلام كان في صفين يقاتل أهل الشام إلى جانب أبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقال:

قد روى بعض من أثق به بأن يوما من أيام صفين خرج شاب من عسكر أمير المؤمنين عليه السلام وعليه لثام

وقد ظهرت منه آثار الشجاعة والهيبة والسطوة بحيث أن أهل الشام قد تقاعدوا عن حربه وجلسوا ينظرون وغلب عليهم الخوف والخشية فما برز إليه أحد، فدعا برجل يقال له ابن الشعثاء وكان يُعَدّ بعشرة آلاف فارس وقيل له: اخْرُجْ إلى هذا الشابِّ وبارِزْهُ.

فقال: إنَّ الناسَ يعُدّونَني بعشرةِ آلافِ فارِسٍ، فكيف تَأمُرُني بِمُبارَزَةِ هذا الفَتَى (الصَّبِيّ)!!

فقيل: فما نَصْنَع؟!

فقال: إنَّ لي سَبْعَةَ بنينَ، أبْعَثُ إليه واحداً منهم لِيَقْتُلَه.

فقال له: افْعَل.

فبعث إليه أحد أولاده فقتله الشاب وبعث إليه بآخر فقتله الشاب حتى بعث جميع أولاده فقتلهم الشاب، فعند ذلك خرج ابن الشعثاء وهو يقول: أيُّها الشاب، قَتَلْتَ جميعَ أولادي، والله لأثْكِلَنَّ أباكَ وأمَّكَ.

ثم حمل اللعين وحمل عليه الشاب، فدارت بينهما ضربات، فضربه الشاب ضربة قدَّه نصفين فألحقه بأولاده، فعجب الحاضرون من شجاعته، فعند ذلك صاح أمير المؤمنين عليه السلام ودعاه وقال له: ارجَعْ يا بُنَيَّ لِئَلا تُصيبُكَ عيونُ الأعْداءِ.

فرجع وتقدم أمير المؤمنين عليه السلام وأرخى اللثام عنه وقبَّله بين عينيه فنظروا إليه فإذا هو قمر بني هاشم العباس بن أمير المؤمنين عليهما السلام(١٤٨).

وهاتين الحادثتين وغيرهما من الأحداث يوم صفين إن دلت على شيء فإنما تدل على ما كان يتميز به العباس عليه السلام من شجاعة وثبات قدم وعظم همة في ساحات القتال على رغم صغر سنه الشريف، وهذا ما ورثه من أبيه وأمه وما كان يبتغيه أمير المؤمنين عليه السلام ويهدف إليه في زواجه من أم البنين عليها السلام، وعلى هذا كانت أم البنين عليها السلام تخرج إلى البقيع تندب أولادها ومنهم العباس عليه السلام وتقول:

أنْبِئْتُ أنَّ ابْنِي أصيبَ
بِرَأسِهِ مَقْطوعَ يَدِ
وَيلِي عَلَى شِبْلِي أمالَ
بِرَأسِهِ ضَرْبُ العَمَدِ
لَوْ كانَ سَيْفُكَ في
يَدَيْكَ لَما دَنَى مِنْكَ أحَد(١٤٩)

صورة أخرى من معركة صفين

روي المحدث والعالم الكبير المرحوم ملا حبيب الله الكاشاني أنه لما قتل عسكر الحسين عليه السلام وقتل بنو عمه وأخوته بكى العباس عليه السلام وحمل الراية وجاء نحو أخيه الحسين عليه السلام يستأذنه للبراز، فما أجاز له الحسين عليه السلام، فقال العباس عليه السلام (بما معناه): في يوم من أيام صفين خرجت إلى ميدان القتال، وبعدما قاتلت الأعداء قتالا شديدا رجعت إلى أبي وقد علا الغبار وجهي ويبست شفتاي، فدعاني والدي ومسح الغبار عن وجهي وقال لي: ولدي إذا كنت في صحراء كربلاء ورأيت أخاك الحسين عليه السلام وهو يستغيث إياك أن تدعه وحيدا بل أفده بنفسك!! والآن أريد أن أفديك بنفسي يا ابن رسول الله، فاذن لي للخروج إلى قتال هؤلاء الظالمين(١٥٠).

لَـــكَ مَـــوْقِـــفٌ بِـالطَّـفِّ أَنْـسَـى أَهْـلَـهُ
حَـــرْبَ الــعِـــراقِ بِـمُـلْـتَـقَـى صِـفّـيـنِ

وصية أمير المؤمنين عليه السلام الخاصة لولده العباس عليه السلام

طبقا لبعض الروايات لما كانت ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان وأشرف علي عليه السلام على الموت أخذ العباس عليه السلام وضمه إلى صدره الشريف (وقبّل بين عينيه) وقال: «ولدي!! وسَتَقَرُّ عيني بِكَ يومَ القيامة، ولدي!! إذا كان يومُ عاشوراء ودَخَلْتَ المَشْرَعَةَ إيّاك أنْ تَشْرَبَ الماءَ وأخوكَ الحسينُ عَطْشان!!»(١٥١).

وَفَى العباس عليه السلام بوصية أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وهو سيد الوفاء والإباء وذلك لما أراد أن يشرب غرفة من الماء ذكر عطش الحسين عليه السلام وأهل بيته(١٥٢).

وقال الطريحي في (المنتخب) أنه قال: «والله لا أشرَبُه وأخي الحسين عليه السلام وعيالُه وأطْفالُه عطاشى، لا كانَ ذلك أبداً»(١٥٣).

وقال أبو مخنف في مقتله، فرمى الماء وهو يقول:

يَـا نَـفْـسُ مِـنْ بَـعْـدِ الـحُـسَـيْـنِ هـونِـي
وبـــعْـــدَهُ لا كُـــنْـــتِ أَنْ تَـكـونـي
هَـــذا الـــحُـــسَـــيْـــنُ شـــارِبُ الـمَـنـونِ
وَتَـــشْـــرَبـــيـــنَ بـــارِدَ الـــمَـــعـــيـــنِ
هَـــيْـــهـــاتَ مـــاهـــذا فِـــعـــالُ ديـنـي
ولا فِـــعـــالُ صـــادِقِ الـــيَـــقَـــيـــنِ(١٥٤)

يقول العلامة الميرزا محمد علي الأوردبادي في أبيات من قصيدته:

لَـــمْ يَـــذُقِ الــفُــراتَ أسْـــوَةً بِـــهِ
مُـيَـمِّـماً بِـمـائِـهِ نَـحْـوَ الخِبا
لَـــمْ يَـــرَ في الـــدِّيـــنِ يَـبُـلُّ غُـلَّـةً(١٥٥)
وصِـنْـوُهُ فيهِ الظَّما قَـدْ ألْهَبا
والمُـرْتَـضـى أوصـى إليه في ابْـنِـهِ
وَصِـيَّـةً صَـدَّتْـهُ عَـنْ أنْ يَشْـرَبا
لِــذاكَ قَــدْ أسْــنَــدَهُ لِـديـنِـهِ
وعَـنْ يَقينٍ فيه لَـنْ يَضطرِبا
هـذا مِـنَ الـشَّـرْعِ يَـرى فِعْلَتَه
ومِـنْ صِـراطِ أحـمـدٍ ما ارتَكَبا
ومِثْلُهُ الحُسينُ لَمّا مَلَكَ الماءَ
فـقـيـلَ رَحْـلُـهُ قَـدْ نُـهِـبـا
أمَّ الـخِـيـامَ نـافِـضـاً لِـمـائـهِ
إذْ عَـظُـمَ الأمْـرُ بِـهِ واعْصَوْصَبا
فـكـانَ لـلـعَـبّـاسِ فـيـه أسْـوَةٌ
إذْ فَـضَّ شـهْـماً غَـيْـرَ مَفْلولِ الشّبا

على هذا يكون العباس عليه السلام قد أمضى حياة مضيئة ومتلألئة في عصر أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، فقد تربى في حجر الولاية وترعرع في بيت الإمامة وركب الطريقة الغراء ولزم المحجة البيضاء حتى بنى لنفسه شخصية فذة قل نظيرها، فكان مرآة تعكس شخصية أبيه وشجاعته ووفائه وإبائه.

يقول سماحة آية الله الشيخ محمد حسين الإصفهاني الغروي المعروف بالكمباني قدس سره في أبيات يصف فيها العباس عليه السلام:

يُــمَــثِّــلُ الــكَــرّارَ فــي كَــرّاتــهِ
بَـلْ في المَعاني الغُرِّ مِنْ صِفاتِهِ
لَــيْــسَ يَــدُ اللهِ سِــوى أبـيـهِ
وقَــدْرَةُ اللهِ تَـجَـلَّـتْ فيه
فــهــو يَــدُ اللهِ وهَــذا ساعِـدُه
تـغْـنيكَ عَـنْ إثْـباتِـهِ مَشاهِدُه

صَــــولَـــتُـــهُ عِـــنـــدَ الـــنِّـــزالِ صَـولَـتُـه
لــــولا الـغُـلُـوّ قُـــلْـــتُ جلَّـتْ قُـدْرَتُــــه

وجلـس العبـاس عليه السلام إلى جانـب أبيه عليه السلام وهو في فراش الموت واسـتمع إلى وصايـاه فجعلها نصب عينيـه وتعهـد عـلى أن يمضي على ما مضى عليه في عـصر أبيه من الوفاء والإخلاص والجهاد في سـبيل الحـق والدفـاع عن حريم الإسـلام والولاية جنبا إلى جنب أخويه الإمامين السـبطين الزكيين الحسـن والحسين عليهما السلام.

الفصل الثاني

العباس عليه السلام في عصر الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام

العباس عليه السلام في عصر أخيه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

إشارة

بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان عام ٤٠ من الهجرة تولى السبط المجتبى الحسن بن علي عليه السلام زمام أمور الولاية والإمامة والتي دامت ما يقارب عشر سنوات.

ولكن ذلك الأمر لم يكن خافيا على ذوي البصائر النافذة وصادقي اليقين بمقام الإمامة ومرتبة الولاية، ومن هؤلاء أبو الفضل العباس عليه السلام الذي امتثل لقرار أخيه الحسن عليه السلام تمشيا مع حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال في الحسن والحسين عليهما السلام: «ابْنايَ هذان إمامان قاما أو قَعدا»[١٥٦].

طاعة العباس عليه السلام لأخيه الإمام الحسن عليه السلام

يقول الإمام الصادق عليه السلام في زيارته لأبي الفضل العباس عليه السلام:

«السَّلامُ عَلَيْكَ أيُّها العَبْدُ الصّالِحُ المُطيعُ لله ولِرَسولِهِ ولأميرِ المُؤْمِنينَ والحَسَنِ والحُسَيْنِ صَلَّى الله عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ».

ثم يقول عليه السلام في آخر الزيارة:

«أشْهَدُ أنَّكَ لَمْ تَهِنْ وَلمْ تَنْكُلْ، وأنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى بَصيرَةٍ مِنْ أمْرِكَ مُقْتَدِياً بِالصّالِحينَ وَمُتَّبِعاً لِلنَّبِيّين»[١٥٧].

بعد مضي ستة أشهر وأربعة أيام[١٥٨] من خلافة الإمام الحسن عليه السلام في الكوفة وعلى أثر الأوضاع المضطربة فيها رجع عليه السلام إلى المدينة وعاش فيها بقية عمره الشريف والذي دام تسع سنين وأربعة أشهر بعيدا عن الخلافة.

رافق العباس عليه السلام أخاه الإمام الحسن عليه السلام من الكوفة إلى المدينة وبقي إلى جانبه غير مبالٍ بالحكومة الغاصبة المشؤومة مقتديا في ذلك بإمام زمانه سبط سيد الورى الزكي المجتبى الحسن بن علي عليه السلام إلى أن دسَّت إليه زوجته جعدة بنت الأشعث السم فقضى مسموما مظلوما.

لما حضرت الحسن عليه السلام الوفاة استدعى الحسين عليه السلام وقال: «يا أخي، إنِّي مُفارِقُكَ ولاحِقٌ بِرَبِّي، وَقَدْ سُقيتُ حاءً...... فَبِحَقّي عَلَيْكَ إنْ تَكَلَّمْتَ في ذلِكَ بِشَيءٍ، فإذا قَضَيْتُ نَحْبي فَغَمِّضْني وَغَسِّلْني وَكَفِّنّي وأدْخِلْني عَلَى سَريري إلى قَبْرِ جَدّي رَسولِ الله صلى الله عليه وآله لأجَدِّدَ بِهِ عَهْداً..... وَسَتَعْلَمُ يا ابْنَ أمِّ أنَّ القَوْمَ يَظُنّونَ أنَّكُم تُريدونَ دَفْني عِنْدَ رَسولِ الله صلى الله عليه وآله فيجْلِبونَ عَلَى ذلك ويَمْنَعونَكُم مِنْهُ، بالله أقْسِمُ عَلَيْكَ أنْ تُهْرِقَ في أمْري مَحْجَمَةَ دَم»(١٥٩).

زواج أبي الفضل العباس عليه السلام وأولاده

لم تتضح من الروايات تاريخ زواج العباس عليه السلام، ولكن لما كان العباس عليه السلام حين استشهاد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام يبلغ من العمر أربع عشرة سنة، على هذا يمكن التخمين أن زواج أبي الفضل العباس عليه السلام كانت في عصر إمامة الحسن المجتبى عليه السلام.

وقد تزوج العباس عليه السلام بلبابة بنت عبيدالله بن العباس ابن عم النبي صلى الله عليه وآله، وكانت امرأة ذات شأن عظيم ومقام رفيع وولدت له ولدين أحدهما الفضل والآخر عبيدالله والذي انحصر فيه عقب العباس عليه السلام، وأحفاد العباس عليه السلام علماء عظام وفقهاء أجلاء منهم السيد الجليل أبويعلي الحمزة بن القاسم بن علي بن حمزة (الشبيه) بن الحسن بن عبيدالله (الرئيس) بن العباس (الشهيد) بن أمير المؤمنين علي عليه السلام وكان من أعلام العلماء وأعيان الفقهاء، وهو صاحب المرقد المعروف بالإمام الحمزة أو حمزة الغربي في نواحي الهاشمية الناحية المعروفة بالمدحتية قرب الحِلَّة(١٦٢)، ومرقده يشير إلى ساكنه بالعظمة ويرمز إلى منزلته عند الله تعالى بما يظهر عنده من أنواع الكرامات حتى لُقِّب بـ «العباس الثاني»(١٦٣)، وقد ذكره النجاشي في الفهرست وقال أنه من أصحابنا كثير الحديث صنف كتبا كثيرة منها كتاب (من روى عن جعفر بن محمد عليه السلام من الرجال) وكتاب (التوحيد) وكتاب (الزيارات والمناسك) (١٦٤).

ومن أحفاده علي بن إبراهيم (جردقة) بن أبي جعفر الحسن بن عبيدالله بن أبي الفضل العباس عليه السلام، وله مرقد عالي المقام وحرم ملكوتي ومزار عظيم الشأن في قم المقدسة ومعروف بالأمير سيد علي.

يقول المرحوم العلاّمة السيد عبدالرزاق المقرم في كتابه (قمر بني هاشم):

كان للعباس من الأولاد خمسة: عبيدالله والفضل والحسن والقاسم، وبنتاً، وعدَّ ابن شهرآشوب من الشهداء في الطف ولد العباس عليه السلام محمد، فأما عبيدالله والفضل فأمهما لبابة وأولاده الثلاثة

الآخرون وابنته كانوا لأم ولد[١٦٥].

وأما المرحوم العلاّمة السيد محسن الأمين(رضي الله عنه) فقد عدّ اثنين من أولاد العباس(عليه السلام) وهما محمد وعبدالله من شهداء الطف[١٦٦]، وقيل أن العباس(عليه السلام) أرسلهما إلى ميدان القتال قبل استشهاده.

ولا يستبعد أن يكون العباس(عليه السلام) قد أتى بأهله وعياله إلى كربلاء كما أتى بالأهل والعيال أكثر شهداء واقعة الطف، وقد ذكر الرواة في أحداث يوم عاشوراء أن العباس(عليه السلام) قد أفردت له خيمة مستقلة، وقبل استشهاده أتى إلى تلك الخيمة وودع زوجته وعياله.

مقامات عبيدالله بن العباس(عليه السلام)

كان عبيدالله بن العباس(عليه السلام) ذا قدر جليل ومقام رفيع، ويرى الكثير من النسّابين أنه المعقِّب الوحيد لأبي الفضل العباس(عليه السلام)، وكان الإمام السجاد(عليه السلام) يعتني به ويهتم في تربيته وتثقيفه، وكان كلما يراه يرِقُّ له ويستعبر ويتذكر به عمه العباس(عليه السلام) ومواقفه المشرِّفة وتضحياته العظيمة في سبيل إعلاء كلمة الإسلام والدفاع عن حريم الرسالة والإمامة.

ولم تحضر أم البنين أرض كربلاء إلا أنها واست أهل البيت(عليهم السلام) وقدمت أولادها الأربعة، وكانت شاعرة فصيحة تخرج كل يوم إلى البقيع ومعها عبيدالله بن العباس(عليه السلام) فتندب أولادها الأربعة – وبالأخص العباس(عليه السلام) – أشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع الناس فيسمعون بكاءها وندبتها، وكان مروان بن الحكم على شدة عداوته لبني هاشم يجيء مع من يجيء فلا يزال يسمع ندبتها ويبكي!!

ولم تزل باكية عليهم نائحة حتى التحقت بالرفيق الأعلى، وكانت النساء يقمن العزاء في بيتها[١٦٧].

وتوفي عبيدالله بن العباس(عليه السلام) في العام ١٥٥ من الهجرة[١٦٨]، وأعقب من ثلاثة الحسن والحسين وحمزة، وأكثرهم أعقابا هو الحسن بن عبيدالله بن العباس(عليه السلام) وأعقب من خمسة وهم الفضل وحمزة وإبراهيم (جردقة) والعباس وعبيدالله[١٦٩]، وكلهم من كبار الفقهاء وعظمائها وذو مناصب ومقامات عالية بين الناس[١٧٠].

وقال الفضل بن محمد بن فضل بن حسين بن عبيدالله بن العباس يرثي جده العباس(عليه السلام):

إنِّـي لأذْكُـرُ لِلْـعَـبّـاسِ مَـوْقِـفَـهُ
بِكَـرْبلاءِ وهـامَ[١٧١] الـقَـوْمِ يُـخْـتَـطَـفُ
يَحْمـي الحُسَـيْـنَ ويَحْـمـيـهِ عَـلَى ظَـمَـأٍ
ولا يُـوَلِّـي ولا يُـثْـنِـي فَـيَـخْـتَـلِـفُ

ولا أرَى مَشْهَداً يَوْماً كَمَشْهَدِهِ
مَعَ الحُسينِ عَلَيْهِ الفَضْلُ والشَّرَفُ
أكْرِمْ بِهِ مَشْهَداً بانَتْ فَضيلَتُهُ
وما أضاعَ لَهُ أفْعالَهُ خَلَفُ(١٧٢)

العباس عليه السلام في طليعة موكب الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة

كان العباس بن علي عليه السلام في طليعة المرافقين لأبي عبدالله الحسين عليه السلام **في رحلته من مكة إلى المدينة**، حاذيا حذوه وماضيا على أثره ومطيعا له في كل أوامره ونواهيه، ولم يكتفِ بعزمه على الخروج مع أخيه الإمام عليه السلام بل اصطحب معه أخوته لأبيه وأمه وهم عبدالله وجعفر وعثمان ليشاركوا أخاهم السبط المنتجب في تحقيق أهداف نهضته العظيمة وثورته الخالدة.

قال المرحوم الدربندي في الأسرار حدثني بعض الثقاة من تلامذتي من العرب قال ظفرت بهذه الرواية في مجموعة كانت تنسب إلى الفاضل الأديب المقري فنقلتها عنه وهي:

روى عبدالله بن سنان الكوفي عن أبيه عن جده أنه قال:

خرجت بكتاب من أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام وهو يومئذ بالمدينة، فأتيته وقرأه فعرف معناه، فقال: انْظِرْني إلى ثلاثةِ أيامٍ.

فبقيت في المدينة ثم تبعته إلى أن صار عزمه بالتوجه إلى العراق، قلت في نفسي أمضي وأنظر إلى ملك الحجاز كيف يركب وكيف جلالته وشأنه!! فأتيت إلى باب داره فرأيت الخيل مسرَّجة والرجال واقفين والحسين عليه السلام جالس على كرسي وبنو هاشم حافون به وهو بينهم كأنه البدر ليلة تمامه وكماله

ورأيت نحواً من أربعين محملا وقد زينت المحامل بملابس الحرير والديباج.

قـال: فعنـد ذلك أمر الحسـين عليه السلام بني هاشـم أن يركبوا محارمهم عـلى المحامل، فبينما أنـا أنظر وإذا بشـاب قد خرج من دار الحسـين عليه السلام وهو طويل القامة وعلى خده علامـة ووجهه كالقمر الطالع وهو يقـول: تَنَحّـوا يا بَني هاشِـم!! وإذا بامرأتين قد خرجتا من الدار وهما تجـران أذيالهما على الأرض حياء من الناس وقد حفَّت بهما إماؤهما، فتقدم ذلك الشـاب إلى محمل من المحامل وجثى على ركبتيه وأخذ بعضديهما وأركبهما المحمل.

فسـألت بعض الناس عنهما فقيل أما إحداهما فزينب والأخرى أم كلثوم بنتا أمير المؤمنين، وقلت: ومن هذا الشاب؟! فقيل لي: هو قمر بني هاشم العباس بن أمير المؤمنين!!

إلى أن قال: ثم أركبوا بقية الحرم والأطفال على المحامل، فلما تكاملوا نادى الإمام عليه السلام: أيْنَ أخي؟!! أيْنَ كَبْشُ كَتيبَتي؟!! أيْنَ قَمَرُ بَني هاشِـم؟!! فأجابه العباس عليه السلام قائـلا: لَبَّيْكَ لَبَّيْك، فقال له الإمام عليه السلام: قَدِّمْ لي يا أخي جَوادي، فأتى العباس عليه السلام بالجواد إليه وقد حفَّت به بنو هاشم، فأخذ العباس عليه السلام بركاب الفرس حتى ركب الإمام عليه السلام، ثم ركب بنو هاشم، وركب العباس عليه السلام وحمل الراية أمام الإمام عليه السلام.

قال: فصاح أهل المدينة صيحة شديدة وعلت أصوات بني هاشم بالبكاء والنحيب، وقلن: الوَداع الوَداع، الفِراق الفِراق، فقال العباس عليه السلام: أيْ والله هذا يومُ الفِراقِ، والمُلْتَقَى يومُ القِيـامَـةِ، ثم ساروا قاصدين الكوفة، فسرت معهم حتى وصلنا كربلاء(١٩٢).

وطبقا لبعض الروايات أن أبا عبدالله الحسـين عليه السلام أوكل أمر السـقاية إلى أخيه العباس عليه السلام من بداية تحركهـم مـن المدينة إلى مكـة ومن مكة إلى كربلاء وإلى آخر لحظة من حياتـه الشريفة، فكان عليه السلام مسرعا ومطيعا لأمر مولاه دون سأم أو ضجر بل كان يجد في ذلك كل السعادة والسرور.

خرج الحسـين عليه السلام من المدينة ليلة الأحد الثامن والعشرين من رجب عام ٦٠ من الهجرة وهو يقرأ: ﴿فَخَـرَجَ مِنْهـا خائِفاً يَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنـي مِنَ القَوْمِ الظّـالِمِين﴾(١٩٣)، ولـما دخل مكة في يوم الجمعة الثالث من شعبان قـرأ: ﴿ولَمّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ قالَ عَسَى رَبّي أنْ يَهْدِيَني سَواءَ السَّبيلِ﴾(١٩٤).

عـرف أهـل الكوفـة خـبر الحسـين عليه السلام وامتناعه عن بيعـة يزيـد وخروجه إلى مكـة، فأرسـلوا إليه الكتـب(١٩٥) يدعونـه بالتوجـه إلى الكوفـة، وبعـد توقـف في مكة دام أربعة أشـهر وخمسـة أيـام توجه الحسـين عليه السلام بأهلـه وأصحابه إلى الكوفة في يوم الثامن من ذي الحجـة (يوم التروية)، ودخل كربلاء في اليوم الثاني من محرم الحرام عام ٦١ من الهجرة وبقي فيها حتى يوم استشـهاده ومن كان معه من أهل بيته وصحبه يوم عاشوراء.

وأمـا العبـاس عليه السلام فقد كان نجما زاهرا وعلما بارزا في ذلك الموكب المسـتنير بنور الملكوت والمحفور

بأسرار اللاهوت والمتشعشع بضياء ولي الله الأعظم وسبط النبي الأكرم حاملا سيفه البتار بيد ورايته العلياء بيد أخرى يقود جيشا قوامه كواكب متلألئة زاده إيمان وتقى وراياته أعمدة حق يتقدمون بخطا ثابتة وبصائر نافذة وعزائم موقنة قد استبانت لهم مصائرهم وتجلت عن أعينهم عواقبهم فلم يثنهم ذلك عن سيرهم نحو المجد والعلا والكرامة والزلفى ملبين دعوة إمام الورى ومستمسكين بالعروة الوثقى حتى بلغوا مراتبهم السامية في جنات عالية.

الفصل الثالث

العباس عليه السلام في واقعة الطف وبطولاته واستشهاده

إشارة

لقد كان العباس عليه السلام مثالا للوفاء والإخلاص وقوة الإرادة والعزيمة، وسندا قويا وشريكا وفيا لأخيه الحسين عليه السلام في تلك الثورة المباركة، وكما قيل أنه كان لأخيه الحسين عليه السلام كما كان أبوه علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يسير معه أينما سار ولا يفارقه طرفة عين.

كان دخول العباس عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام كربلاء في الثاني من محرم الحرام واستشهاده يوم العاشر منه، وعلى هذا يكون مقام العباس عليه السلام على أرض كربلاء ثمانية أيام طواها جنبا إلى جنب أخيه الحسين عليه السلام لا يرد له قولا ولا يعصيه أمرا فكان في خدمة الولاية والإمامة وأهل بيت الطهر والعصمة ما بقيت روحه في جسده.

ونتعرض فيما يلي إلى نماذج من تضحيات أبي الفضل العباس عليه السلام في كربلاء:

الحسين عليه السلام يبعث أخاه العباس عليه السلام في جماعة لجلب الماء

قدِم عمر بن سعد بن أبي وقاص - وكان قائدا لجيش عبيدالله بن زياد - من الكوفة في الثالث من محرم الحرام في أربعة آلاف فارس فنزل بنينوى، ثم ورد عليه كتاب ابن زياد أنْ «حُلْ بينَ الحسينِ وأصحابِه وبينَ الماءِ ولا يَذوقوا منه قَطرَةً كما صُنِعَ بالتَّقِيِّ الزَّكِيِّ عُثْمانِ بنِ عَفّان!!»، فبعث عمر بن سعد في الوقت عمرو بن الحجاج في خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء ومنعوهم أن يسقوا منه قطرة وذلك قبل قتل الحسين عليه السلام بثلاثة أيام.

نفذ الماء واشتد العطش بالحسين عليه السلام وأهل بيته وضجَّ الأطفال وهم ينادون «العَطَش، العَطَش»، فدعا الحسين عليه السلام بأخيه العباس عليه السلام - وكان ذلك ليلة الثامن من المحرم - وضم إليه ثلاثين فارسا وعشرين راجلا وبعث معه عشرين قربة، فأقبلوا في جوف الليل حتى دنوا من الفرات(١٩٧).

فقال عمرو بن الحجاج: «مَنْ أنتم؟!»

فقال رجل من أصحاب الحسين عليه السلام يقال له هلال بن نافع البجلي: «أنا ابْنُ عَمٍّ لَكَ، جِئْتُ لأشْرَبَ مِنْ هذا الماءِ»

فقال عمرو: «اشْرَبْ هنيئاً»

فقال هلال: «ويحَكَ!! كيف تأمُرُني أنْ أشْرَبَ والحسينُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام ومَنْ مَعَهُ يَموتونَ عَطَشاً!!»

فقال عمرو: «صَدَقْتَ، وَلَكِنْ أُمِرْنا بِأمْرٍ لابُدَّ أنْ نَنْتَهي إليه»

فصاح هلال بأصحابه فدخلوا الفرات وصاح عمرو بالناس فاقتتلوا قتالا شديدا، فكان قوم يقاتلون وقوم يملأون القرب حتى ملأوها ولم يُقتل من أصحاب الحسين أحد ثم رجع القوم إلى معسكرهم فشرب الحسين عليه السلام ومن كان معه، ولذلك سمي العباس عليه السلام «سقّا»(١٩٨).

الحسين عليه السلام يستثني العباس وعلي الأكبر في اجتماعه مع عمر بن سعد

قال الطبري: قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب عن هاني بن ثبيت الحضرمي - وكان قد شهد قتل الحسين عليه السلام - أنه بعث الحسين عليه السلام إلى عمر بن سعد عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري أن ألقني الليل بين عسكري وعسكرك، فخرج عمر بن سعد في نحو من عشرين فارسا وأقبل الحسين عليه السلام في مثل ذلك، فلما التقوا أمر الحسين عليه السلام أصحابه أن يتنحوا عنه وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك(١٩٩).

ورد في بعض الروايات أن الحسين عليه السلام أمر أصحابه أن يتنحوا عنه وبقي معه أخوه العباس عليه السلام وولده علي الأكبر عليه السلام، وأمر عمر بن سعد أصحابه فتنحوا عنه وبقي معه ابنه حفص وغلام له(٢٠٠)، فتباحثا طويلا حتى مضي شطر من الليل كان الحسين عليه السلام يعظ عمرا وينصحه على ترك ما عزم عليه من قتاله، ولكن أبى ذلك ثم انصرف كل واحد منهما إلى معسكره بأصحابه.

وفي هذه الروايات إشارة إلى ما كان يتميز بها أبو الفضل العباس عليه السلام من مكانة خاصة عند أبي الضيم وسيد الأحرار أبي عبدالله الحسين عليه السلام حتى صار محرما لأسراره ولا يُمنع في شيء من خلواته كما كان أبوه أمير المؤمنين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله.

أبا الفَضْلِ إنَّ السِّبْطَ سِبْطُ مُحَمَّدٍ
مَليكُ بَني الدُّنْيا وأنْتَ المُرافِقُ
تَقومُ عَلَى أعْتابِ سَدَّةِ بابِهِ

تُــــبــــادِرُ فـــي حـــاجـــاتِـــهِ وتُـــســـابِـــقُ

ويـــومُ أَتـــى دارَ الـوَلـيـدِ صَـحِـبْـتَـهُ

وحَـــولَـــكَ مِـــنْ عَـــدْنـــانٍ غُـــرٌّ غَـــرانِـــقُ

ويَـــومُ ابْــنِ سَـــعْـدٍ قُـمْـتَ والـسَّـــيْـفُ مُصَلَّتٌ

عَـلَـى رَأسِـــهِ والـسِّـبْـطُ فـيـكَ لَـواثِـقُ[٢٠١]

بطولة العباس عليه السلام وحصوله على الماء

طبقا لما ورد عن بعض المحدثين أن العباس عليه السلام - والظاهر يوم تاسوعاء - تمكن بهجمة بطولية أن يرد الفرات ويجلب الماء لأهل البيت والأصحاب.

يقول إبراهيم بن محمد البيهقي - أحد العلماء البارزين في القرن الثالث الهجري - في كتابه (المحاسن والمساوئ) وفي شأن ورود أبي عبدالله الحسين عليه السلام إلى كربلاء:

كان الحسين عليه السلام وأصحابه بجنب الفرات ولكن ابن زياد أمر رجاله أن يحولوا بينهم وبين الماء، هنالك قال العباس عليه السلام لأخيه الحسين عليه السلام: «ألسْنا على الحقِّ؟!» قال عليه السلام: «بَلى»، فنهض العباس عليه السلام، واتجه إلى عسكر ابن زياد وحمل عليهم وفرَّق جمعهم، فتمكن الحسين عليه السلام وأصحابه من الوصول إلى الماء فشربوا منه وملأوا قربهم ثم رجعوا إلى الفسطاط[٢٠٥].

عرض الأمان على أولاد أم البنين عليها السلام ورفضهم الشديد لذلك

جاء شمر بن ذي الجوشن عشية التاسع من المحرم حتى وقف على أصحاب الحسين عليه السلام وقال: «أين بنو أختِنا؟!»[٢٠٦]

وفي رواية أخرى صاح شمر بأعلى صوته: «أين بنو أختِنا؟! أينَ العبّاسُ وأخوتُه؟!»

فأعرضوا عنه، فقال الحسين عليه السلام: «أجيبوه ولَو كانَ فاسِقاً»[٢٠٧]

قالوا: «ما شأنُكَ وما تُريد؟!»

قال شمر: «يا بَني أختي، أَنْتُمْ آمِنونَ، لا تَقْتُلوا أنْفُسَكُمْ مَعَ الحُسَينِ، والْزَموا طاعَةَ أميرِ المؤمنين يَزيد»

فقال العباس عليه السلام: «، أَتُؤمِّنُنا وابنُ رسولِ الله لا أمانَ له[٢٠٨]!!»[٢٠٩].

روى أبو مخنف وقال: لما قبض شمر بن ذي الجوشن الكتاب قام وهو وعبدالله بن أبي المحل وكانت عمته أم البنين ابنة حزام عند علي بن أبي طالب عليه السلام فولدت له العباس وعبدالله وجعفرا وعثمان، فقال عبدالله بن أبي المحل بن حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب: «أصلَحَ الله الأميرَ، إنَّ بني أختِنا مَعَ الحُسَينِ، فإنْ رأيتَ أنْ تكتبَ لهم أماناً فَعَلْتَ»، قال: «نَعَمْ ونِعْمَةُ العَيْنِ»، فأمر كاتبه فكتب لهم أمانا، فبعث به عبدالله بن أبي المحل مع مولى له يقال له كزمان (كرمان) فلما قدم عليهم دعاهم فقال: «هذا أمانٌ بَعَثَ بِهِ خالُكُمْ»، فقال له الفتية: «أقْرِئْ خالَنا السَّلامَ وقُلْ له لا حاجَةَ لنا في أمانِكُم أمانُ الله خيرٌ !!» [٢١٢].

صدق الله تبارك وتعالى حيث يقول: ﴿.... إنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْناهُمْ هُدًى﴾[٢١٣].

لقد تغلغل الإيمان في صدور أولئك الفتية، وشربوا من أمن الله وأمانه ريّاً وسُقْيا، واستضاءت قلوبهم بشعاع الحق والهدى، واستنارت أرواحهم بضياء البرِّ والتُّقَى، فلم يبدِّلوا أنوارها بظُلَم الجهل ومردياته، ولم تغرهم مُدْلَهِمّات الحياة الدنيا عن اتباع سبيل أحمد وعترته، ولم ترضخ مديد قاماتهم ورفيع هاماتهم لرايات النفاق وملته، فسلكوا مسالك الموقنين وتمسكوا بحبل الله المتين حتى رفعهم بها إلى أعلى منازل السعداء ودرجات المقربين.

﴿قالَ اللهُ هذا يومُ يَنْفَعُ الصادِقينَ صِدْقُهُم لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ خالِدين فيها أبداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوزُ العَظيمُ﴾[٢١٤].

العباس عليه السلام ووقائع ليلة عاشوراء

أسدل الستار على عصر يوم تاسوعاء وأقبلت ليلة عاشوراء، فامتزجت فيها حرقة الأحزان ولهيب الأشجان وأنين الهجران بسعد القرب ولذيذ الأنس وعذب الوصال.

ليلة حيَّرت بعظمتها الملائكة المقربين وطبقات الكروبيين لمّا سطعت من أرض كربلاء شرارة تلك الأنوار القدسية والإشعاعات الملكوتية، فكشفت فيها معاني الوجود، وتجلت فيها حقيقة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمونَ﴾!!

ليلة عاشوراء: ليلة المناجاة والصعود، ليلة العرفان والشهود، ليلة الفداء والعطاء، ليلة معراج خامس أصحاب الكساء.

ليلة موحشة ظلماء مدلهمَّة عمياء لم يرقأ لآل المصطفى دمع ولم يهدأ لهم طرف، لا يكاد يُبصَر فيها إلا قناديل مضيئة حول منارة العصمة الشامخة، ليلة أحياها آل الله بين راكع وساجد وتال للقرآن لهم دوي كدوي النحل وقد خفقت قلوبهم حبا وشوقا للقرب والوصال حتى تهللت وجوههم بنور الله واستبشرت قلوبهم بلقاء الله.

ومن وراء غمام ليلة عاشوراء تجلى قمر العشيرة أبو الفضل العباس عليه السلام التي كانت له في تلك الليلة مواقف تشهد له بهيبته وعظمته وتنطق بفدائه وتضحيته وتنشد بإخلاصه وولائه.

لقد خصص للعباس عليه السلام من بين الأصحاب بحفظ مخدرات الوحي وحرم الرسالة بل وأهل البيت بأجمعهم، فبات ليلة العاشر راكبا جواده متقلدا سيفه يطوف حول الأخبية كأنه أسد رابض على عرينه يردُّ عن حرمة الولاية المقدسة سيوف الكيد والغدر والدنس وقد سلب من أعين الأعداء منامها حتى شخصت عيونهم عليه وتناوبت جماعاتهم في الحراسة خوفا من بأسه وسطوته.

وفي هذا المضمار نشير إلى موقفين للعباس عليه السلام في ليلة عاشوراء تحكي عن إخلاصه لولي الله الأعظم

ولحرمة آل البيت المكرم صلى الله عليهم وسلم:

١- لوفاء بالعهد

جمع الحسين عليه السلام أصحابه وخطب فيهم، وبعدما حمد الله تعالى وأثنى عليه قال:

«أمّا بَعْد، فإنّي لا أعْلَمُ أصحاباً أوفَى ولا خَيْراً مِنْ أصْحابي ولا أهْلَ بَيْتٍ أبَرَّ ولا أوصَلَ ولا أفْضَلَ مِنْ أهلِ بَيْتي، فَجَزاكُمُ الله عَنّي خيراً، فَقَدْ أخْبَرَني جَدّي رسولُ الله بأنّي سَأساقُ إلى العِراقِ فأنْزِلُ أرضاً يُقالُ لها عَمورا وكَرْبَلا وفيها أسْتَشْهِدُ، وقَدْ قَرُبَ الموعِدُ، ألا وإنّي أظُنُّ يومَنا مِنْ هؤلاء الأعْداءِ غداً، وإنّي قد أذِنْتُ لَكُمْ فانطَلِقوا جميعاً في حلٍّ ليسَ عَلَيكم منّي ذِمامٌ، وهذا اللَّيلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فاتَّخِذوهُ جَمَلاً، ولْيَأخُذْ كُلُّ رَجُلٍ منكم بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ أهْلِ بَيْتي، فجزاكُمُ الله جميعاً خيراً، فَتفَرَّقوا في سَوادِكُمْ ومَدائِنِكُم فإنَّ القومَ إنَّما يطلبونَني ولو أصابوني لَذَهلوا عَنْ طَلَبِ غَيْري»[٢٢٢].

فقال له أخوته وأبناؤه وبنو أخيه وأبناء عبدالله بن جعفر: «لِمَ نَفْعَلُ ذَلِك؟! لِنَبْقى بَعْدَكَ!! لا أرانا الله ذَلِكَ أبداً»[٢٢٣]، بدأهم بهذا القول العباس بن علي عليهما السلام[٢٢٤] ثم إنهم تكلموا بهذا ونحوه.

وتَنادَبَتْ لِلذَّبِّ عَنْهُ عُصْبَةٌ
وَرِثوا المَعالي أشيَباً وشبابا
خَفّوا لِداعي الحَرْبِ حينَ دَعاهُمُ
وَرَسَوا بِعَرْصَةِ كَرْبَلاءِ هِضابا
أُسْدٌ قد اتَّخَذوا الصَّوارِمَ حُلْيَةً
وتَسَرْبَلوا حَلَقَ الدُّروعِ ثِيابا
يَتَمايَلونَ كَأنما غَنَّى لَهُمْ
وَقعُ الظُّبَى وسَقاهُمُ أكْوابا
بَرَقَتْ سُيوفُهُمْ فَأمْطَرَت الطّلَى
بِدِمائِها والنَّقْعُ ثارَ سَحابا
وكَأنَّهُم مُسْتَقْبِلونَ كَواعِباً
مُسْتَقْبِلينَ أسِنَّةً وكِعابا
وجَدوا الرَّدَى مِنْ دونِ آلِ مُحَمَّدٍ
عَذْباً وبَعْدَهُمُ الحَياةُ عَذابا[٢٢٥]

ولما عرف الحسين عليه السلام منهم صدق النية والإخلاص في المفاداة دونه أوقفهم على غامض القضاء،

فقال: «إنّي غداً أقتَلُ وكُلُّكُم تُقْتَلون معي ولا يبْقَى مِنْكُم أحداً حتّى القاسِم وعبدالله الرضيع إلا وَلَدي عَلِيّا زيْنَ العابِدين لأنَّ الله لم يَقْطَعْ نَسْلي منه وهو أبو أئِمةٍ ثمانِيَةٍ».

فقالوا بأجمعهم: «الحَمْدُ لله الذي أكْرَمَنا بِنَصرِكَ وشرَّفنا بالقَتْلِ مَعَكَ، أولا تَرْضى (نَرْضى) أنْ نَكونَ مَعَكَ في دَرَجَتِكَ يا ابْنَ رَسولِ الله!!»، فدعا لهم بالخير وكشف عن أبصارهم فرأوا ما حباهم الله من نعيم الجنان وعرَّفهم منازلهم فيها[٢٢٦].

وروى المحدث عباس القمي نقلا عن القطب الراوندي (قدس سره) أنه بعدما أعلم الحسين عليه السلام أصحابه أنهم سيقتلون قالوا: «الحَمْدُ لله الذي شرَّفَنا بالقَتْلِ مَعَكَ»، ثم دعا فقال لهم: «ارْفَعوا رُؤوسَكُمْ وانْظُروا»، فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة وهو يقول لهم: «هذا مَنْزِلُكَ يا فُلان»، فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدره ووجهه ليصل إلى منزله من الجنة[٢٢٧].

وكما ورد في زيارة الناحية المقدسة لإمام العصر والزمان - أرواحنا لتراب مقدمه الفداء - أنه قال: «أشْهَدُ لقد كَشَفَ الله لَكُمُ الغِطاءَ»[٢٢٨].

٢- مباحثات العباس عليه السلام مع أصحابه وسر ابتسامة زينب عليها السلام

روي عن سيدة العقائل زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام أنها قالت:

لما كانت ليلة عاشوراء من المحرم خرجت من خيمتي لأتفقد أخي الحسين عليه السلام وأنصاره وقد أفرد له خيمة فوجدته جالسا وحده يناجي ربه ويتلو القرآن، فقلت في نفسي: أفي مِثْلِ هذه الليلةِ يُترَكُ أخي وحْدَه!! والله لأمْضِينَّ إلى إخْوَتي وبَني عُمومَتي وأعاتِبُهُمْ بِذَلك.

فأتيت إلى خيمة العباس فسمعت منها همهمة ودمدمة، فوقفت على ظهرها فنظرت فيها فوجدت بني عمومتي وإخوتي وأولاد إخوتي مجتمعين كالحلقة وبينهم العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام وهو جاثٍ على ركبتيه كالأسد على فريسته، فخطب فيهم خطبة ما سمعتها إلا من الحسين عليه السلام مشتملة بالحمد والثناء لله والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال في آخر خطبته: يا إخْوَتي وبَني عُمومَتي، إذا كانَ الصَّباحُ، فما تَقولون؟!

فقالوا: الأمْرُ إليكَ يَرْجِعُ، ونَحْنُ لا نَتَعَدَّى لَكَ قَولَك.

فقال العباس: إنَّ هؤلاء، أعْني الأصْحابَ، قَوْمٌ غُرَباءُ، والحِمْلُ الثَّقيلُ لا يقومُ بِهِ إلا أهْلُه، فإذا كانَ الصَّباحُ فَأوَّلُ مَنْ يَبْرُزَ إلى القتالِ أنْتُمْ، نَحْنُ نَقْدِمُهُم لِلْمَوْتِ لِئَلاّ يَقولَ النَّاسُ قَدَّموا أصْحابَهُمْ فَلَما قُتِلوا عالَجوا المَوْتَ بِأسْيافِهِم ساعةً بَعْدَ ساعَةٍ.

فقامت بنو هاشم وسلّوا سيوفهم في وجه أخي العباس وقالوا: نَحْنُ عَلَى ما أنْتَ عَلَيه.

قالت زينب عليها السلام: فلما رأيت كثرة اجتماعهم وشدة عزمهم وإظهار شيمتهم سكن قلبي وفرحت، ولكن خنقتني العبرة فأردت أن أرجع إلى أخي الحسين عليه السلام وأخبره بذلك فسمعت من خيمة حبيب بن ظاهر همهمة ودمدمة فمضيت إليها ووقفت بظهرها ونظرت فيها فوجدت الأصحاب على نحو بني هاشم مجتمعين كالحلقة وبينهم حبيب بن مظاهر وهو يقول: يا أَصْحابي، لِمَ جِئْتُمْ إِلَى هذا المَكانِ؟ أوضِحوا كَلامَكُمْ رَحِمَكُمُ الله.

فقالوا: أَتَيْنا لِنَنْصُرَ غَريبَ فاطِمَة.

فقال لهم: لِمَ طَلَّقْتُمْ حَلائِلَكُمْ؟!

فقالوا: لذلك.

قال حبيب: فإذا كانَ في الصَّباحِ، فَما أَنْتُمْ قائِلون؟!

فقالوا: الرأيُ رَأْيُكَ ولا نَتَعَدَّى قولاً لَكَ.

قال: فإذا صارَ الصَّباحُ فأوَّلُ مَنْ يَبْرُزَ إِلَى القِتالِ أَنْتُمْ، نَحْنُ نَقْدِمُهُمْ لِلْقِتالِ، ولا نَرَى هاشِمِيًّا مُضرَّجاً بِدَمِهِ وفينا عِرْقٌ يَضْرِبُ، لِئَلا يقولُ الناسُ قَدَّموا ساداتَهُمْ للقِتالِ وبَخِلوا عليهم بأَنْفُسِهِم.

فهزوا سيوفهم على وجهه وقالوا: نَحْنُ عَلَى ما أَنْتَ عَلَيه.

قالت زينب عليها السلام: ففرحت من ثباتهم ولكن خنقتني العبرة، فانصرفت عنهم وأنا باكية وإذا بأخي الحسين عليه السلام قد عارضني فسكنت نفسي وتبسمت في وجهه.

فقال: أُخَيَّة!! فقلت: لَبَّيكَ يا أخي، فقال عليه السلام: يا أختاه، مُنْذُ رَحَلْنا مِنَ المَدينَةِ ما رأيْتُكِ مُبْتَسِمَةً، أَخْبريني ما سَبَبُ تَبَسُّمِكِ؟!

فقلت له: يا أخي رأيتُ مِنْ فِعْلِ بَني هاشِمٍ والأَصْحابِ كذا وكذا.

فقال لي: يا أُخْتاه!! اعْلَمي أَنَّ هؤلاء أَصْحابي مِنْ عالَمِ الذرِّ، وبِهِم وَعَدَني جَدِّي رَسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، هَلْ تُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُري إلى ثباتِ أَقْدامِهم؟!

فقلت: نعم.

فقال: عليكِ بِظَهْرِ الخيمة.

قالت زينب عليها السلام: فوقفت على ظهر الخيمة، فنادى أخي الحسين عليه السلام: أين إخْواني وبنو أعْمامي؟!

فقامت بنو هاشم وتسابق منهم العباس وقال: لَبَّيْكَ لَبَّيْك، ما تَقول؟!

فقال الحسين عليه السلام: أريدُ أَنْ أَجَدِّدَ لَكُمْ عَهْداً.

فأتى أولاد الحسين وأولاد الحسن وأولاد علي وأولاد جعفر وأولاد عقيل فأمرهم بالجلوس فجلسوا.

ثم نادى: أين حبيبُ بْنُ مظاهِرٍ؟! أين زُهَيْر؟! أين هِلال؟! أيْنَ الأصْحاب؟!

فأقبلوا وتسابق منهم حبيب بن مظاهر وقال: لَبَّيْكَ يا أبا عَبْدِالله.

فأتوا إليه وسيوفهم بأيديهم، فأمرهم بالجلوس فجلسوا، فخطب فيهم خطبة بليغة ثم قال:

يا أصحابي، اعْلَموا أنَّ هؤلاء القومَ ليس لهم قَصْدٌ سِوى قَتْلي وقَتْلُ مَنْ هو معي، وأنا أخافُ عَلَيكُمْ مِنَ القَتْلِ، فأنْتُمْ في حِلٍّ مِنْ بَيْعَتي، ومَنْ أحَبَّ مِنْكُم الانْصِرافَ فَلْيَنْصَرِفْ في سَوادِ هذا اللَّيْلِ.

فعند ذلك قامت بنو هاشم وتكلموا بها تكلموا وقام الأصحاب وأخذوا يتكلمون بمثل كلامهم، فلما رأى الحسين عليه السلام حسن إقدامهم وثبات أقدامهم قال عليه السلام: إنْ كُنْتُمْ كَذَلِكَ فارْفَعوا رُؤوسَكُمْ وانْظُروا إلى مَنازِلِكُمْ في الجَنَّةِ!!

فكشف لهم الغطاء ورأوا منازلهم وحورهم وقصورهم فيها والحور العين ينادين العجل العجل فإنا مشتاقات إليكم!!

فقاموا بأجمعهم وسلّوا سيوفهم وقالوا: يا أبا عبدالله، ائْذَنْ لَنا أنْ نَغيرَ عَلَى القومِ ونُقاتِلُهُم حَتّى يَفْعَلَ اللهُ بِنا وبِهِم ما يَشاء.

فقال عليه السلام: اجْلِسوا رَحِمَكُمُ الله وجَزاكُمُ اللهُ خَيْراً[٢٢٩].

يقول المرحوم السيد جعفر الحلي:

هُمْ فِتْيَةٌ قَدْ أرْخَصوا لِفِدائِهِ
أرْواحَ قُدْسٍ سَوْمُهُمْ خَطيرُ
هُمْ فِتْيَةٌ خَطَبوا العُلى بِسُيوفِهِمْ
ولها النُّفوسُ الغالِياتُ مُهورُ
فَرِحوا وقَدْ نُعِيَتْ نُفوسُهُمْ لَهُمْ
وكَأنَّ لَهُمْ ناعي النُّفوسِ بَشيرُ
رَكَضوا بِأرْجُلِهِمْ إلى شِرْكِ الرَّدَى
وَسَعَوا وَكُلُّ سَعْيُهُ مَشْكورُ[٢٣٠]

لقد انجلت الأستار عن جواهر الكمالات الروحية ودقائق المعاني الإنسية وعظائم الحالات النفسية التي كان يحملها العباس عليه السلام في ذاته المهذبة بمجامع الفواضل والمصفّاة عن كدر البواطل، وسما بها إلى أعالي مراتب العرفان وأوج حقائق اليقين، وشرب من شراب الفناء في الذات الأحدية وتجرد عن العلائق الدنيوية حتى تجلت له أنوار العظمة الإلهية وسبحات الجلالة القدسية، ولما كانت

أنوار الهداية وأسرار الحكمة وآثار الحق متجلية في حجج الله الطاهرة وسبله الباهرة اتبع سبيلهم وسلك مسلكهم وبذل النفس والنفيس لإعلاء كلمتهم وجسَّد معاني التضحية والفداء حتى غدا أنموذجا للثائرين ونبراسا للمجاهدين على مر الدهور والسنين.

استشهاد العباس الأصغر ليلة عاشوراء

يجدر بالذكر أنه ورد في بعض المقاتل أن استشهاد أبي الفضل العباس﴿ع﴾ كان ليلة العاشر من المحرم وبعضهم قال أنه استشهد يوم التاسع من المحرم والبعض قال أنه استشهد ليلة التاسع منه!! فكيف يمكن تفسير ذلك؟!

إن أكثر النسّابين وأهل التاريخ إذا ذكروا العباس﴿ع﴾ الذي أمه أم البنين قيدوه بالأكبر، والتقييد بالأكبر يستدعي وجود الأصغر وأنه لابد أن يكون مع الأكبر الأصغر منه يدل عليه اللفظ بدلالة الالتزام وبقاعدة أفعل التفضيل.

وقال صاحب (ناسخ التواريخ: ج ٥ ص ٣٠٧) أن الخامس عشر من ولد علي﴿ع﴾ العباس الأصغر، وذكره في الشهداء، وذكر الحافظ المقريزي الشافعي ولد علي بن أبي طالب﴿ع﴾ ومنهم العباس الأكبر وعبدالله الأكبر وعثمان الأكبر وجعفر الأكبر أمهم أم البنين الكلابية، ثم يقول ومحمد الأوسط وعباس الأصغر أمهما أم ولد ، وذكر السيد العمري النسّابة العلوي العباس الأصغر وجعله شقيقا لعمر الأطرف ورقية وأن أمهم جميعا الصهباء التغلبية.

ثم يقول صاحب (ناسخ التواريخ) أن بعض العلماء زعم أن العباس الأكبر﴿ع﴾ استشهد ليلة العاشر مع أن أكثر أهل السيَر يذكرون شهادته يوم عاشوراء وذلك لأن في أولاد أمير المؤمنين﴿ع﴾ عباسين الأصغر والأكبر، والذي قتل في الليلة العاشرة هو الأصغر سبق إلى طلب الماء فنال سعادة الشهادةفي تلك الليلة..... إلخ[٢٣١].

العباس عليه السلام يوم عاشوراء

«لا يوم كيومك يا أبا عبدالله»!!

كلمة نبعت من مخزون الحكمة الإلهية فجَرَت على لسان العصمة القدسية تنبئ عن مكنون ما خُطَّ بقلم القدر والقضاء لما سيجري على الذرية النجباء من آل سيد الأنبياء في يوم لم ولن يشهد له مثيل في تاريخ البشرية جمعاء.

لاح فجر يوم عاشوراء، يوم العهد المعهود والأجل الموعود، يوم المشهد العظيم والخطب الجسيم، يوم الجهاد والتقتيل والصراخ والعويل، يوم عطش الآل الأطهار وارتواء العرصة بدم الأخيار.

يوم دارت الصحبة المختارة حول قطب عالم الوجود وشربوا من حياض الكرم والجود واخترقت أبصار قلوبهم الحجب والسدود فبذلوا دونه مهجهم ووطَّنوا على لقاء الله أنفسهم وسموا إلى العلياء بهممهم، فلبسوا أكفان الوصل واللقاء وتعمموا بعمائم المعالي والارتقاء وتقلدوا سيوف العز والبقاء حتى أعطوا الصوارم حقها وكشفوا عن معنى الشهادة حقيقتها.

وتجلت أنوار القمر الهاشمي أبي الفضل العباس عليه السلام في تلك الكوكبة المتلألئة، وأخذت مكانها في الطليعة والمقدمة، حاملا بيده راية الكرامة والعلا يتقدم بها نحو العدا لم تثنه حشد الجموع وحر الهجير وكرب الظما حتى ذاق الرَّدى وخرَّ في الترب صريعا مخضبا بالدماء.

العباس عليه السلام وأولى هجماته صبيحة عاشوراء

لما أصبح الصباح من يوم عاشوراء نادى الحسين عليه السلام أصحابه وأمرهم بالصلاة (وفي بعض الكتب أنهم تيمموا بدلا عن الوضوء)، فوقفوا صفوفا والعباس عليه السلام يقدمهم في الصف الأول وأذّن الحسين عليه السلام وأقام بنفسه وصلى بأصحابه صلاة الصبح والتي أقيمت بتمام الإخلاص وكمال العرفان

وحضـور القلـب، فلما فرغ منها رفع يديه إلى السماء وقد أخذ المصحف بيده اليمنى فحمد الله وأثنى عليـه، ثـم نظر إلى أصحابه وقال: «إنَّ الله قَدْ أذِنَ في قَتْلِكُمْ وقَتْلي وكُلُّكُمْ تُقْتَلونَ في هذا اليومِ إلا وَلَدي عَلِيَّ بْنَ الحُسين، فاتَّقوا الله يا قومَ واصْبِروا»!!

وأصبح عمر بن سعد في ذلك اليوم وقد جعل على ميمنة العسكر عمرو بن الحجاج الزبيدي وعلى الميسرة شـمر بن ذي الجوشـن وعلى الخيل عروة بن القيـس الأحمسي وعلى الرجالة شـبث بن الربعي وأعطى الراية دريدا[٢٣٣] مولاه.

ودعا الحسـين عليه السلام بفرس رسـول الله المرتجز فركبه، وعبـأ أصحابه للقتال، وكان معـه اثنان وثلاثون فارسا وأربعون راجلا (هذا هو المشهور[٢٣٤])، فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه وحبيب بن مظاهر في ميسرة أصحابه وجعل قائد كتيبة القلب أخاه العباس ودفع إليه لواء العسكر وهو لواؤه الأعظم[٢٣٥]، وجعلـوا البيـوت والخيم في ظهورهـم، وأمر بحطب وقصـب كان من وراء البيـوت أن يترك في خندق عملوه في ساعة من الليل وأن يحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم ويقبلوا القوم بوجه واحد[٢٣٦].

وقَـــدْ دَعـــا بـأخـيـــه وابْـــنِ والِـــدِهِ
عَـبّـاس حُـلْـوِ الـسَّـجـايا طـاهِـرِ الشـيَـمِ
وقـــالَ يـا بَـطَـلَ الـهَـيْـجـا وفـارِسَـهـا
أنْـتَ الـعَميدُ فَـقِـفْ في الـقَـلْـبِ بِالـعَـلَـمِ
وفـي الـيَـمـيـنِ زُهـيـرُ اللَّـيْـثِ قـائِـدُها
وفي الـيَـسارِ حَـبـيـبُ الخيـرِ ذو الـشَّـمَـمِ
فَـلَـمْ يَـــزَلْ ثـابِـتـاً فـي خَـــطِّ مَـــرْكَـــزِهِ
حَـتَّـى قَـضَـى كُـلُّ قَـــرْمٍ باسِـلٍ وَكَمِـــي[٢٣٧]

لقد خص الإمام الحسـين عليه السلام أخـاه العباس عليه السلام بحمل الراية عِلماً منه بقوته وبسـالته ودرايته التامة بالأساليب العسكرية وثباته عند مواطن البلاء وشهادةً منه بعلو كفاءته لهذا الأمر المقدس.

يقول الشاعر بلسان حال الإمام عليه السلام:

لِمَـــنِ الـلِّـــواءَ أَعْـــطِـــي وَمَـــنْ هُـــوَ جامِعٌ
شَمْلي وفِـــي ضَـنْـكِ الـــزِّحـامِ يَـقـيـنِـي
أمُـــنـــازِلُ الأقْـــرانِ حَـــامِـــلُ رايَـــتِـــي
وَرَواقُ أخْـبِـيَـتـي وبـــابُ شُـــؤونـــي[٢٣٨]

ويروى أن أبي عبدالله الحسـين عليه السلام أكثر الخطب والمواعظ يوم عاشـوراء لإقامة الحجة ودفع الشبهة

عنهم وأخذ يذكّرهم بنسبه من رسول الله صلى الله عليه وآله وما قاله في شأنه وأهل بيته وقد نال منه العطش ومن أصحابه فلم ينفعهم ذلك، بل لجّوا في عتوّهم وقالوا له: «قد عَلِمْنا ذلك كلَّه ونَحْنُ غيرُ تارِكيكَ حتّى تذوقَ الموتَ عَطْشاناً».

فلما سمعت أخواته وبناته ذلك بكين وندبن ولطمن خدودهن وارتفعت أصواتهن، فوجَّه إليهن أخاه العباس عليه السلام وعليا عليه السلام ابنه وقال لهما: «سَكِّتاهُنَّ فَلَعَمْري لَيَكْثُرَنَّ بُكاؤهُنَّ»!!

يقول الشيخ محمد مهدي الحائري في (معالي السبطين):

وقوله عليه السلام لعلي ابنه وللعباس «سَكِّتاهُنَّ فَلَعَمْري لَيَكْثُرَنَّ بُكاؤهُنَّ»، والسر في أنه أرسلهما دون سائر بني هاشم هو أن للعيال عُلقة تامة بهما، فإذا نظرن إليهما تسلَّين بهما واستأنسن بهما، لأن أحدهما يحكي رسول الله صلى الله عليه وآله خَلْقاً وخُلُقاً ومنطقاً والآخر يحكي أمير المؤمنين عليه السلام، أحدهما يشبه النبي صلى الله عليه وآله والآخر يشبه الوصي عليه السلام[٢٣٩].

ثم تقدم عمر بن سعد ونادى: «يا دُرَيد، ادْنُ رايَتَكَ»، فأدناها ثم وضع سهما في كبد قوسه ثم رمى وقال: «اشْهَدوا لي عِنْدَ الأميرِ فأنا أوَّلُ مَنْ رَمَى[٢٤٠] بِهِ إلى الحُسَيْنِ»[٢٤١]!!

فرمى أصحابه كلهم فما بقي من أصحاب الحسين عليه السلام إلا أصابهم من سهامهم، فقال الحسين عليه السلام لأصحابه: «قوموا رحِمَكُمُ الله إلى المَوتِ الذي لابُدَّ مِنْهُ، فَهَذِهِ رُسُلُ القَوْمِ إليكُمْ»[٢٤٢].

فحمل أصحابه حملة واحدة، واقتتلوا ساعة من النهار حتى قتل من أصحاب الحسين عليه السلام جماعة، فما انجلت الغبرة إلا عن خمسين صريعا[٢٤٣].

ونظرا لكثرة من قتل من أصحاب الحسين عليه السلام بعد الحملة الأولى أخذ الرجلان والثلاثة والأربعة يستأذنون الحسين عليه السلام في الذب عنه والدفاع عن حرمه يحمي بعضهم بعضا، ولما اشتد الأمر وبان النقص فيهم ولم يبق مع الحسين عليه السلام إلا قلة من أصحابه أخذوا يبرزون إلى الأعداء رجلا بعد رجل[٢٤٤].

مناصرة العباس عليه السلام لأصحاب أبي عبدالله عليه السلام وفك حصارهم

ذكر الشيخ عباس القمي رحمه الله في كتابه (نَفَس المهموم) أن بعض أصحاب أبي عبدالله الحسين عليه السلام حين أحاط بهم الأعداء واقتطعوهم من الأصحاب والأحباء حمل عليهم العباس بن علي عليهما السلام فاستنقذهم[٢٤٥].

وقد ذكر المؤرخون ومنهم الطبري في تاريخه (ج ٤ ص ٣٤٠) أن عمرو بن خالد الصيداوي وسعد مولاه وجابر بن الحارث السلماني ومجمع بن عبدالله العائذي شدوا جميعا على أهل الكوفة، فلما

فجال المارد على العباس وقحم عليه، فبادره العباس وطعن جواده في خاصرته، فشَبَّ[٢٥٥] به الجواد ووثب المارد فإذا هو على الأرض ولم يكن لِلَّعين طاقة على قتال العباس راجلا، لأنه كان ضخم الجثة ثقيل الخطوة، فاضطربت الصفوف وتصايحت الألوف، وناداه الشمر: «لا بأسَ عليك»، ثم قال لأصحابه: «ويلَكم، أدْرِكوا صاحبَكم قبلَ أنْ يُقْتَل!!».

فخرج إليه غلام - واسمه صارقة[٢٥٦] - له بحجرة[٢٥٧] له يقال لها الطاوية، فلما نظر إليه المارد فرح بها وكفَّ خجله، وصاح: «يا غُلام، عَجِّل بالطاوِيَةِ قبلَ حُلولِ الداهِيَة»، فأسرع بها الغلام إليه، فكان العباس أسبق من عدو الله إليها فوثب وثبات مسرعات وصل بها إلى الغلام فطعنه بالرمح في صدره فأخرجه من ظهره، واحتوى على الحجرة فركبها، وعطف على عدو الله، فلما رآه تغير وجهه وحار أمره فأيقن بالهلاك، ثم نادى بأعلى صوته: «يا قوم، أغْلَبُ عَلَى جوادي وأقْتَلُ برمْحي!! يا لَها مِنْ سَبَّةٍ ومَعيرَةٍ».

فحمل الشمر وجملة من الجيش فنفضوا الأعنة وقدموا الأسنة وجردوا السيوف وتصايحت الرجال ومالت نحو العباس فناداه أخوه الحسين عليه السلام: «ما انتظارُكَ يا أخي !! فقد غَدَرَ القومُ بك».

ونظر العباس إلى سرعة الخيل ومجيئهم كالسيل، فعطف عليه برمحه، فناداه المارد: «يا ابنَ عَلِيّ، رِفْقاً بأسيرِكَ يكونُ لَكَ شاكِراً»، فقال له العباس: «ويلَكَ، أبِمِثْلي يُلْقَى إليه الخُدَعُ والمحالُ، ما أصْنَعُ بأسيرٍ وقد قَرُبَ المَسير!!».

ثم طعنه في نحره وذبحه من الأذن إلى الأذن، فانجدل صريعا يخور بدمه[٢٥٨].

زهير بن القين[٢٥٩] يثير حمية العباس عليه السلام بذكر حديث أبيه عليه السلام

ذكرنا سابقا - في باب زواج أمير المؤمنين عليه السلام بأم البنين عليها السلام - أن الصحابي الجليل زهير بن القين أتى العباس عليه السلام وذكر له ما دار بين أمير المؤمنين عليه السلام وأخيه عقيل في أمر زواجه والفلسفة الوجودية للعباس عليه السلام مما أثار في العباس عليه السلام الحمية والغيرة.

ونعيد ذكر الرواية مفصلا لمناسبته في هذا الباب:

ذكر المرحوم العلامة السيد عبدالرزاق المقرم في كتابه (قمر بني هاشم) أن شمر بن ذي الجوشن جاء عشية التاسع من المحرم حتى وقف على أصحاب الحسين عليه السلام وعرض الأمان على العباس عليه السلام وأخوته لأبيه، ولكنه قوبل بمعارضة شديدة منهم لذلك الأمان[٢٦٠]، ولما رجع العباس عليه السلام وأخوته إلى الحسين عليه السلام وأعلموه بما دار بينهم وبين الشمر قام زهير بن القين إلى العباس عليه السلام وحدثه بحديث قال فيه: «إنَّ أباكَ أميرَ المؤمنين عليه السلام طَلَبَ منْ أخيه عقيلٍ وكانَ عارفاً بأنْسابِ العَرَبِ وأخْبارِها أنْ يختارَ لَه امْرأةً وَلَدَتْها الفحولةُ منَ العَرَبِ وذووا الشَّجاعةِ منهم ليتزوَّجَها فَتَلِدَ غلاماً فارِساً شجاعاً ينصرُ

الحسينَ بطفِّ كَرْبلاء وقد ادَّخَرَكَ أبوكَ لمثلِ هذا اليوم، فلا تُقَصِّرْ عَنْ نُصرَةِ أخيك وحمايةِ أخواتِك».

فغضب العباس عليه السلام وقال: «أتُشَجِّعني يا زهير في مثلِ هذا اليومِ!! والله لأرينَّكَ شيئاً ما رأيتَهُ»[٢٦١].

فجدَّل أبطالا ونكَّس رايات في حالة لم يكن من همه القتال ولا مجالدة الأبطال بل همه إيصال الماء إلى أطفال أخيه، ولكن لا مرد من القضاء ولا دافع للأجل المحتوم[٢٦٢].

لقد أثبت العباس عليه السلام شجاعته وإخلاصه ووفاءه لأخيه الحسين عليه السلام، فلم ترْمِ الشكوك بعزيمة إيمانه ولم تعترِكْ الظنون على معاقد يقينه حتى يقبل أمان اللعناء ويترك ولاية الأصفياء النجباء.

ولا يَهُمُّهُ السِّهامُ حاشا
مَنْ هَمُّهُ سِقايَةُ العَطاشا
فَجادَ بِاليَمينِ والشمالِ
لِنُصْرَةِ الدِّينِ وَحِفْظِ الآلِ[٢٦٣]

العباس عليه السلام يرسل أخوته إلى ميدان القتال

كان للعباس عليه السلام أخوة من أبيه وأمه وهم: عبدالله وجعفر وعثمان، وكلهم قتلوا في نصرة الحسين عليه السلام قدَّمهم العباس عليه السلام بين يديه.

وقال أرباب التاريخ والمقاتل والسيَر: ولما رأى العباس بن علي عليه السلام كثرة القتلى في أهل بيته دعا أخوته الثلاثة الذين هم من أم البنين وهم عبدالله وعثمان وجعفر - وكان أكبر أخوته سنّا[٢٦٤] - ثم قال لهم: «تَقَدَّموا يا بَني أمّي حتَّى أراكُمْ قدْ نَصَحْتُمْ لله ولِرَسولِهِ فإنَّه لا وُلْدَ لَكُم»[٢٦٥].

وأول من برز إلى القتال من أخوته عبدالله ثم جعفر ثم عثمان، فقاتلوا جميعا حتى قتلوا[٢٦٦].

ووردت في رواية أخرى أن العباس عليه السلام قال لأخوته: «تَقَدَّموا بِنَفْسي أَنْتُمْ فحاموا عَنْ سَيِّدِكُم حتَّى تَموتوا دونَه»، فتقدموا جميعا فساروا أمام الحسين عليه السلام يقونه بوجوههم ونحورهم[٢٦٧].

ويبين المرحوم العلامة السيد عبدالرزاق المقرم في كتابه (قمر بني هاشم) العلة في تقديم العباس عليه السلام أخوته للقتل ويقول:

لو تأملنا جيدا في تقديمه إياهم للقتل لعرفنا كبر نفسه وغاية مفاداته عن أخيه السبط فلذة كبد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومهجة البتول فإن من الواضح البيِّن أن غرضه من تقديمهم للقتل:

١- إما لأن يشتد حزنه ويعظم صبره ويرزأ بهم ويكون هو المطالب بهم يوم القيامة إذ لا ولد لهم يطالبون بهم.

٢- وإما لأجل حصول الاطمئنان والثقة من المفادات دون الدين أمام سيد الشهداء عليه السلام، وأنه رام أن يتعرف مقدار ولائهم لقتيل العبرة وهذا إرفاق منه عليه السلام بهم وحنان عليهم وأداء لحق الأخوة بإرشادهم لما هو أصلح لهم.

٣- وإما لأجل أن يكون غرضه الفوز بأجر الشهادة بنفسه والتجهيز للجهاد بتقديم أخوته ليثاب أيضا بأجر الصابرين ويحوز كلتا السعادتين[٢٦٨].

استشهاد أخوة العباس عليه السلام

طبقا لما نقل في بعض المقاتل أن أول من برز من أخوة العباس عليه السلام إلى القتال هو عبدالله ثم جعفر ثم عثمان على الترتيب وكلهم قاتلوا قتالا شديدا حتى نالوا الشهادة[٢٦٩].

وأما العلامة المجلسي فقد ذكر في (بحار الأنوار) - ونقل عنه العلامة الدربندي في (أسرار الشهادات) - أن عثمان هو أول من برز للقتال واستشهد ثم جعفر ثم عبدالله، ويقول في ذكر استشهادهم:

برز عثمان بن علي عليه السلام[٢٧٠] وهو يقول:

إنّي أنا عُثْمانُ ذو المَفاخِرِ
شيْخي عَلِيٌّ ذو الفِعالِ الظاهِرِ
وابْنُ عَمٍّ لِلنَّبِيِّ الطاهِرِ
أخي حُسَيْنٌ خَيْرَةُ الأخايِرِ
وسَيِّدُ الكِبارِ والأصاغِرِ
بَعْدَ الرَّسولِ والوَصِيِّ الناصِرِ

فرماه خولي بن يزيد الأصبحي على جبينه فسقط عن فرسه وجز رأسه رجل من بني إبان بن حازم[٢٧١].

ثم برز من بعده أخوه جعفر بن علي عليه السلام وهو يقول:

إنّي أنا جَعْفَرُ ذو المَعالي
ابْنُ عَلِيِّ الخَيْرِ ذي النَّوالِ
حَسْبي بِعَمِّي شرفاً وخالي
أحْمي حُسَيناً ذا النَّدَى المِفْضالِ

ثم قاتل فرماه خولي بن يزيد الأصبحي[٢٧٢] فأصاب شقيقته أو عينه[٢٧٣].

ثم برز أخوه عبدالله بن علي عليه السلام، وفي الخبر أن العباس بن علي عليه السلام قال لأخيه من أبيه وأمه عبدالله بن

علي: «تَقَدَّمْ بينَ يَدَيَّ حتّى أراكَ وأحْتَسِبُكَ فإنّه لا وُلْدَ لَكَ»، فتقدم بين يديه[٢٧٤] وهو يقول:

أنـا ابْـنُ ذي الـنَّـجْـدَةِ والإفْـضـالِ
ذاكَ عَـلِـيُّ الـخَـيْـرِ ذو الـفِـعـالِ
سَـيْـفُ رَسـولِ اللهِ ذو الـنَّـكـالِ
فـي كُـلِّ قَـومٍ ظـاهِـرِ الأهْـوالِ[٢٧٥]

فقتله هاني بن ثبيت الحضرمي (لع)[٢٧٦].

ذكر أخوة العباس﴿ع﴾ في زيارة الناحية المقدسة

ورد في صريح زيارة الناحية المقدسة في شأن أخوة العباس﴿ع﴾ أنه قال:

«السَّلامُ عَلَى عبدِالله ابْنِ أميرِ المؤمنينَ مُبْلي البَلاءِ والمُنادي بِالوَلاءِ في عَرْصَةِ كَرْبَلاءِ المَضْروبِ مُقْبلاً ومُدْبِراً لَعَنَ الله قاتِلَهُ هاني بنَ ثُبَيتٍ الحَضْرَمي، السَّلامُ عَلَى جَعْفَرِ ابنِ أميرِ المُؤْمنينَ الصّابِرِ بنَفْسِهِ مُحْتَسِباً والنَّائي عَن الأوطانِ مُغْتَرِباً المُسْتَسْلِمِ لِلْقِتالِ المُسْتَقْدِمِ لِلنِّزالِ المَكْثورِ بِالرِّجالِ لَعَنَ الله قاتِلَهُ هاني بنَ ثُبَيْتٍ الحَضْرَمِيّ، السَّلامُ عَلَى عُثْمانِ ابْنِ أميرِ المُؤْمِنينَ سَمِيِّ عُثْمانِ بْنِ مَظْعون لَعَنَ الله راميهِ بالسَّهْمِ خولي بْنَ يزيدِ الأَصْبَحِيِّ الإيادِيِّ والإبانِيِّ الدارِمِيّ»[٢٧٧].

لقد آثر العباس﴿ع﴾ أخاه السبط الزكي والشهيد الرضي حتى استعلَى المقاعد العليا والمعاقد القصوى من الفداء والإيثار حينما بذل النفس والنفيس للدفاع عن حرم الرسالة وسلالة النبوة، وقد استصغر نفسه الكريمة في فِناء عظمة الإمامة والعصمة حتى قال:

يـا نَـفْـسُ مِـنْ بَـعْـدِ الـحُـسـيـنِ هوني
وبَـعْـدَهُ لا كُـنْـتِ أنْ تَـكـوني

ولم يكتفِ﴿ع﴾ ببذل نفسه الشريفة في الساحة المقدسة فحسب بل قدَّم أخوته الأشقاء أمامه حتى ينالوا عظيم مرتبة الشهادة في سبيل الله تبارك وتعالى والتي خصها الله لأصفيائه وأوليائه وليتضاعف له عند الله أجر الصبر على مصابهم والاحتساب لقتلهم، وبهذا يكون العباس﴿ع﴾ قد نال الشرف الأعلى والقدح المعلَّى من مرتبة الشهادة وحقيقة الصبر.

لا أنْـسَـى مَـوْقِـفَ عَـبَّـاسِ بْـنِ حَـيْـدَرَة
يَـوْمَ الـطـفـوفِ وَلا آثـارَهُ أبـدا
واسـى أخـاهُ بِـنَـفْـسٍ لا عَـديـلَ لَـها
ودونَـهُ قَـدَّمَ الإخْـوانَ والـوَلَـدا

كَــيْ يَـفْـتَدي سِـبْطَ خَيْـرِ الأنْـبِيـاءِ بِهِـم
أبـا الأئـمَّـةِ حَـقًّـا سَـيِّـدَ الـشُّـهَـدا[٢٧٨]

العباس عليه السلام يودع زوجته وعياله

يروى أن العباس عليه السلام في يوم عاشــوراء التقى بأخيه الحســين عليه السلام فأشار إليه الحسين عليه السلام أن يرجع إلى أهلـه وعياله ويودعهم الوداع الأخير الذي لا رجعة بعـده، فجاء العباس عليه السلام إلى خيمته ليودع زوجته وولداه وقد أضرَّ بهم العطش، فلما رأوه مقبلا طلبوا منه أن يجلب لهم الماء، فقال لهم بما معناه: اصبروا قليلا لعلي آتيكم بالماء، هنالك سمع أخاه الحسين عليه السلام وهو يصرخ بالأعداء، فترك أهله وأسرع إلى أخيه الحسـين عليه السلام وقد أحاطت به الخيل وغشـيته الرماح وهو يمانع عن نفسـه، فأخذ يحارب إلى جنب أخيه الحسين عليه السلام حتى قتلا منهم رجالا كثيرا[٢٧٩].

استشهاد أولاد العباس عليه السلام

ومـن أحـداث يوم عاشــوراء تقديم العبـاس عليه السلام ولده محمد (كـما نقله العلامة ابن شهرآشـوب في المناقب) أو ولداه محمد وعبدالله أمامه فقاتلا حتى قُـتـلا[٢٨٠].

وعلى هذا يكون العباس عليه السلام قد ترقَّى المحل الأسنى والمقام الأسمى من التضحية والإيثار في تقديم أعزتـه وفلذات كبده فـداءً لعزيز الزهراء، ولعلـه كان اقتداء بأختـه الحـوراء الصدّيقة الصغرى زينب الكـبرى عليها السلام التـي قدمت بدورها نور عينيها محمد وعون فداء للسـيد الأكبر ووقاء للسـبط المطهر، أو لعله كان اقتداء بنفس سـيد الشـهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام الذي قدم ولديه العليين قرابين في رحاب الباحة القدسية.

استشهاد أبي الفضل العباس عليه السلام

روى الدينوري في كتاب الأخبار الطوال (ص ٢٥٧ ط ٣):

ثم خرج بعدهم (يعني بعد قتل عبدالله وجعفر وعثمان) العباس بن علي عليهما السلام فمال على جيش بن سعد وهو يقول:

أَقْسَمْتُ بِاللهِ الأَعَزِّ الأَعْظَمِ
وبِالحُجونِ صادِقاً وَزَمْزَمِ
وبِالحَطيمِ والفِنا المُحَرَّمِ
لَيَخْضِبَنَّ اليومَ جِسْمي مِنْ دمي
دونَ الحُسينِ ذي الفِخارِ الأَقْدَمِ
إمامِ أَهْلِ الفَضْلِ والتَكَرُّمِ[٢٨١]

يقول العلامة فاضل الدربندي في (إكسير العبادات في أسرار الشهادات) أنه لما أتى زهير بن القين العباس عليه السلام وذكر له حديث أبيه أمير المؤمنين عليه السلام[٢٨٢] ارتعد العباس عليه السلام وتمطّى ركابه حتى قطعه، وقال: «يا زهير، تُشَجِّعُني في مِثْلِ هذا اليومِ؟! والله لأُرِيَنَّكَ شيئاً ما رَأَيْتَهُ قَطُّ».

فحمى جواده نحو القوم[٢٨٣] حتى توسط الميدان، فوقف وقال: «هذا الحسينُ بْنُ بِنْتِ رَسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أَنَّكم قَتَلْتُمْ أَصْحابَهُ وإِخْوَتَهُ وبَني عَمِّهِ، وبَقِيَ فَريداً مَعَ أولادِهِ وعِيالِهِ وهُمْ عطاشَى، قَدْ أَحْرَقَ الظَّمَأ قُلوبَهُمْ، فَاسْقوهُمْ شَرْبَةً مِنَ الماءِ، لأَنَّ أَطْفالَهُ وعِيالَهُ وَصَلوا إلى الهَلاك....».

فلما أوصل العباس عليه السلام إليهم الكلام عن أخيه، فمنهم من سكت ولم يرد جوابا، ومنهم من جلس يبكي، فخرج الشمر وشبث بن ربعي، فجاءا نحو العباس عليه السلام وقالا: «قُلْ لأخيكَ لو كانَ كُلُّ وَجْهِ الأَرْضِ ماءً وهو تَحْتَ أيدينا ما سَقَيْناكُمْ مِنْهُ قَطْرَةً إلا أَنْ تَدْخُلوا في بَيْعَةِ يَزيد!!».

فتبسم العباس عليه السلام ومضى إلى أخيه الحسين عليه السلام وعرض عليه ما قالوا، فطأطأ رأسه إلى الأرض وبكى حتى بلَّ أزياقه.

فسمع الحسين عليه السلام الأطفال وهم ينادون: «العَطَش، العَطَش»، فلما سمع العباس عليه السلام ذلك رمق بطرفه إلى السماء وقال: «إلهي وسيِّدي، أريدُ أنْ أعْتَدَّ بعُدَّتي وأمْلأ لهؤلاءِ الأطْفالِ قِرْبَةً مِن الماءِ».

فركب فرسه وأخذ رمحه والقربة(٢٨٤) في كتفه وقصد الفرات.

ثم يقول العلامة الدربندي (نقلا عن بعض المقاتل): أنه لما نادى الحسين عليه السلام: «أما مِنْ ذابٍّ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ رَسولِ الله صلى الله عليه وآله»، خرج إليه أخوه العباس عليه السلام، وقبَّل بين عينيه وودَّعه، وسار حتى أتى إلى الشريعة، وإذا دونها عشرة آلاف فارس مدرَّعة، فلم يهوِّلوه، فصاحت الرجال من كل جانب ومكان: «مَنْ أنْتَ يا غُلام؟!»

فقال: «أنا العَبّاسُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أبي طالِب».

ثم نادى: «يا بَني فَلاح، أنا ابنُ أخْتِكُمْ أمِّ عاصِم الكِلابِيَّة، وأنا عَطْشان، وأهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ يُذادونَ مِنَ الماءِ، وهو مُباحٌ لِلْكِلابِ والخَنازير، ونَحْنُ مِنْهُ مَحْرومون، وإليهِ بالحَسْرَةِ ناظِرون».

فقال له عمرو بن الحجاج: «يَعِزُّ عَلَيَّ يا ابْنَ الأخْتِ ما نَزَلَ بِكَ مِنَ العَطَشِ، وَلَو عَلِمْتُ لأرْسَلْتُ إليكَ بالماءِ، دونَكَ والفُراتِ يا ابْنَ الأخْتِ».

فسار العباس عليه السلام حتى نزل الفرات وجعل يملأ القربة.

فبلغ خبره إلى عمر بن سعد فقال: «عَلَيَّ برأسِ عمرو بنِ الحجّاج حيث يُقَوِّي علينا أعداءَنا».

فبعث إليه عمرو بن الحجاج وهو يقول: «لا تَعْجَلْ عَلَيَّ إنَّما عَمِلْتُ ذلك لأحْتالَ على قَتْلِه»، ونهر عليه الرجال وقال: «دونكم العبّاس فَقَدْ حَصَلَ بأيديكم».

فلما رآهم العباس عليه السلام وقد تسارعوا إليه وهو مكبٌّ على الماء وهمَّ أن يشرب فذكر عطش أخيه الحسين عليه السلام، فلم يشرب وحطَّ القربة على عاتقه واستقبل القوم يضربهم بسيفه وكأنه النار في الأحطاب وهو ينشد ويقول:

أنا الذي أُعْرَفُ عِنْدَ الزَّمْجَرَة
ابْنُ عَلِيٍّ المُسَمَّى حَيْدَرَة
فأثْبِتوا اليومَ لَنا يا كَفَرَة
لِعِتْرَةِ الحَمْدِ وآلِ البَقَرَة(٢٨٥)

يقول الشيخ محمد مهدي الحائري في (معالي السبطين):

لما أذن الحسين عليه السلام للعباس عليه السلام ركب فرسه وأخذ رمحه والقربة وقصد الفرات وقد أحاط به أربعة

آلاف وفي رواية ستة آلاف وفي (الأسرار) عشرة آلاف محارب، فحمل عليهم العباس عليه السلام وقتل منهم شجعانا ونكّس منهم فرسانا وتفرقوا عنه هاربين كما يتفرق عن الذئب الغنم وصعد قوم على التلال والأكمات وأخذوا يرمونه بالسهام حتى قال إسحق بن جثوة فثوَّرنا عليه النبال كالجراد الطائر فصيَّرنا جلده كالقنفذ ومع ذلك كان كالجبل الأصم لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف، فغاص العباس عليه السلام في أوساطهم وقتل منهم ثمانين فارسا وقيل ثمانمائة فارس وقيل أكثر من ذلك وهو بينهم يرتجز ويقول:

لا أرهَبُ المَوْتَ إذا المَوْتُ رَقَى[٢٨٦]
حَتَّى أواري في المَصاليتِ لِقا
نَفْسي لِنَفْسِ المُصْطَفَى الطُّهْرِ وَقَى
إنِّي أنا العَباس أغدو بالسِّقا
ولا أخافُ الشرَّ يومَ المُلْتَقَى

فتفرقوا عنه هاربين، فكشفهم عن المشرعة ونزل فهجموا عليه، فخرج إليهم وفرَّقهم ثم عاد إلى المشرعة فحملوا عليه ثانيا فكَرَّ عليهم العباس على ما في بعض الكتب منها (الكبريت الأحمر) إلى ست مرات، وفي السادسة انصرفوا ولم يرجعوا، فنزل وملأ القربة، وأراد أن يخرج فنادى عمرو بن الحجاج: «دونَكُمْ العَبّاس فَقَدْ حَصَلَ بِأيديكُمْ»، فكثرت عليه الرجال، فلما رأى العباس عليه السلام وقد تسارعوا إليه حطَّ القربة وخرج من المشرعة واستقبل القوم يضربهم بسيفه وكأنه النار في الأحطاب وهو يقتلهم ويحصدهم حصد السنبل وجعل روحي له الفداء يرتجز ويقول:

أقاتِلُ القومَ بِقَلْبٍ مُهْتَدِ
أذُبُّ عَنْ سِبْطِ النَبِيِّ أحْمَدِ
أضْرِبُكُمْ بالصارِمِ المُهَنَّدِ
حَتَّى تَحيدوا عَنْ قِتالِ سَيِّدي
إنِّي أنا العَبّاسُ ذو التَوَدُّدِ
نَجْلُ عَلِيِّ المُرْتَضى المُؤيَّدِ

فقتل من ساداتهم وأبطالهم مائة ثم عاد إلى القربة فاحتملها على عاتقه وخرج يريد المخيم، فركب بن سعد (لع) وزحفت في أثره الأعلام ووصلت الخيل والرجال إلى العباس عليه السلام وقد أدركته الخيل والرماح كآجام القصب وجعل العباس عليه السلام ينادي: «يا أعداءَ الله، لإنْ قُتِلْنا فَلَقَدْ قَتَلْنا مِنْكُم أضْعافاً».

وصار يضرب فيهم يمينا وشمالا ويجدل الفرسان وينكس الأبطال، وقتل منهم خلقا كثيرا والقربة على ظهره، فلما نظر ابن سعد ذلك نادى: «ويلَكُم ارْشِقوا القِرْبَةَ بالنَبْلِ فوالله إنْ شرِبَ الحسينُ الماءَ أفناكم عن آخِرِكم، أما هو الفارسُ بنُ الفارسِ البَطَلُ المُداعِس».

فحملوا عليه حملة منكرة، وروي أنه قتل منهم مائة وثمانين فارسا[٢٨٧].

يذكر العلامة المجلسي في بحار الأنوار أن العباس عليه السلام لما رأى وحدة أخيه الحسين عليه السلام أتاه وقال: «يا أخي، هَلْ مِنْ رُخْصَة؟!».

فبكى الحسين عليه السلام بكاء شديدا، ثم قال: «يا أخي، أنْتَ صاحِبُ لِوائي وإذا مَضَيْتَ تَفَرَّقَ عَسْكَري»[٢٨٨].

فقال العباس عليه السلام: «قَدْ ضاقَ صَدْري وسَئِمْتُ مِن الحَياةِ وأريدُ أنْ أطْلُبَ ثاري مِنْ هؤلاء المُنافِقين».

فقال الحسين عليه السلام: «فاطْلُبْ لِهؤلاءِ الأطْفالِ قَليلاً مِن الماءِ»[٢٨٩].

فذهب العباس عليه السلام ووعظهم وحذرهم فلم ينفعهم، فرجع إلى أخيه فأخبره، فسمع الأطفال ينادون «العَطَش، العَطَش»، فركب فرسه وأخذ رمحه والقربة وقصد الفرات، فأحاط به أربعة آلاف ممن كانوا موكلين بالفرات ورموه بالنبال فكشفهم وقتل منهم على ما روي ثمانين رجلا حتى دخل الماء، فلما أراد أن يشرب غرفة من الماء ذكر عطش الحسين عليه السلام وأهل بيته فرمى الماء[٢٩٠]، وفي (المنتخب) أنه قال: «والله لا أشرَبُهُ وأخي الحسين عليه السلام وعيالُه وأطفالُهُ عطاشى، لا كانَ ذلك أبداً»[٢٩١].

ويقول أبو مخنف في مقتله، فرمى الماء وهو يقول:

يَا نَفْسُ مِنْ بَعْدِ الحُسَيْنِ هونِي
وَبَعْدَهُ لا كُنْتِ أنْ تَكونِي
هَذا الحُسَيْنُ شارِبُ المَنونِ
وَتَشْرَبينَ بارِدَ المَعينِ
هَيْهاتَ ماهذا فِعالُ ديني
ولا فِعالُ صادِقِ اليَقينِ[٢٩٢]

وملأ القربة وحملها على كتفه الأيمن وتوجه نحو الخيمة، فقطعوا عليه الطريق وأحاطوا به من كل جانب فحاربهم، فأخذوه بالنبال حتى صار درعه كالقنفذ من كثرة السهام[٢٩٣]، حتى إذا قارب المخيم كمن له يزيد بن الرقاد الجهني من وراء نخلة وعاونه حكيم بن الطفيل السنبسي فضربه على يمينه بالسيف فبراها[٢٩٤]، وأخذ السيف بشماله وضم اللواء إلى صدره وحمل القربة على كتفه الأيسر وحمل

على القوم كالأسد الغضبان وهو يقول:

والله إنْ قَطَعْتُموا يَميني
إنِّي أحامي أَبَداً عَنْ ديني
وعَنْ إمامٍ صادِقِ اليَقينِ
نَجْلِ النَبِيِّ الطاهِرِ الأمينِ

وقاتل عليه السلام حتى ضعف عن القتال، فكمن له حكيم بن الطفيل الطائي(٢٩٥) من وراء نخلة وضربه على شماله فقطعها من الزند، فقال:

يا نَفْسُ لا تَخْشِيْ مِنَ الكُفَّارِ
وأبْشِري بِرَحْمَةِ الجَبّار
مَعَ النَبِيِّ المُصْطَفَى المُخْتارِ
قَدْ قَطَعوا بِبَغْيِهِمْ يَساري
فَأَصْلِهِمْ يا رَبِّ حَرَّ النارِ

فعند ذلك وقع السيف من يده وأخذ القربة بأسنانه وجعل يسرع ليوصل الماء إلى المخيم، فلما نظر ابن سعد إلى شدة اهتمام العباس عليه السلام بالقربة صاح بالقوم: «ويلَكُمْ ارْشقوا القِرْبَةَ بِالنَبْلِ، فَوَالله إنْ شَرِبَ الحُسينُ مِنْ هذا الماءِ أفْناكُمْ عَنْ آخِرِكُم»، فقطعوا عليه طريقه، وازدحموا عليه، وأتته السهام كالمطر من كل جانب، فأصاب القربة سهم فأريق ماؤها، وجاءه سهم فأصاب صدره، وسهم آخر أصاب إحدى عينيه فأطفأها، وجمدت الدماء على عينه الأخرى، فلم يبصر بها، وضربه واحد القوم على أم رأسه(٢٩٦)، فانقلب عن ظهر فرسه صريعا والعلم إلى جنبه، وجعل يخور بدمه، فقطَّعه القوم بأسيافهم:

وهَوَى بِجَنْبِ العَلْقَمِيِّ فَلَيْتَهُ
لِلشارِبينَ بِهِ يُدافُ العَلْقَمُ
وغَدا يَهُمُّ بِأنْ يَصولَ فَلَمْ يُطِقْ
كالَّليْثِ إذْ أظْفارُهُ تَتَقَلَّمُ(٢٩٧)

فعند ذلك نادى برفيع صوته: «عَلَيكَ مِنّي السَلامُ يا أبا عَبْدِالله»(٢٩٨).

وفي (أبصار العيون) أنه نادى بأعلى صوته: «أدْرِكْني يا أخي»!!(٢٩٩)

دعا يا حِمَى الإسْلامِ يا ابْنَ الذي
بِهِ دَعائِمُ دينِ اللهِ شَدَّ قِوامُها

جَــرَى نـافِـذُ الأقْــدارِ فـيمَـنْ تُـحِـبُّـهُ
سِــراعـاً فَــإنَّ الـنَـفْـسَ حــانَ حِـمامُـها[٣٠٠]

فأتاه الحسين عليه السلام مسرعا كالصقر إذا انحدر على فريسته، ففرَّق القوم عنه وقتل منهم رجالا وجدل فرسانا حتى إذا وصل إليه رآه مقطوع اليمين واليسار، مفضوخ الهامة، مثخنا بالجراح، العلم على جنبه ممزق والقربة مخرقة وهو يفحص برجليه[٣٠١].

(٢)

وقالوا: فأدركه الحسين عليه السلام وبه رمق الحياة، فأخذ رأسه الشريف ووضعه في حجره، وجعل يمسح الدم والتراب عنه، ثم بكى بكاء عاليا، وقال: «الآن انْكَسَرَ ظَهْري وقَلَّتْ حيلَتي وَشمُتَ بي عَدُوِّي»[٣٠٣].

ثم انحنى عليه واعتنقه وجعل يقبِّل موضع السيوف من وجهه ونحره وصدره[٣٠٤].

فَـمَـشَى لِـمَـصْـرَعِـهِ الـحُـسَـيـنُ وَطَـرْفُـهُ
بَــيْــنَ الـخِـيام وبَــيْــنَــهُ مَـتَـقَـسِّـمُ
ألْــفــاهُ مَــحْــجــوبَ الــجَــمــالِ كـأنَّــهُ
بَــدْرٌ بِـمُـنْـحَـطِـمِ الـوَشـيـجِ مَـلَـثَّـمُ
فَــأكَــبَّ مُـنْـحَـنِـيـاً عَـلَـيْـهِ وَدَمْــعُــهُ
صَـبَـغَ الـبَـسِـيـطَ كـأنَّـما هُــوَ عَـنْـدَمُ
قَــدْ رامَ يَـلْـثِـمُـهُ فَـلَـمْ يَــرَ مَـوضِـعاً
لَــمْ يُــدْمِــهِ عَــضُّ الــسِّــلاحِ فَـيَـلْـثِـمُ
نــادَى وَقَـــدْ مَـــلأ الــبَــوادي صَـيْـحَـةً
صُـــمُّ الـصُـخـورِ لِـهَـولِـهـا تَـتَـألَّـمُ
أأخــي يُـهْـنـيـكَ الـنَّـعـيـمَ وَلَــمْ أخَـلْ
تَــرْضَــى بِـــأنْ أُرْزَى وأنْـــتَ تَـنْـعَـمُ
أأخـــي مَـــنْ يَـحْـمـي بَــنــاتَ مُـحَـمَّـدٍ
إنْ صِـــرْنَ يَـسْـتَـرْحِـمْـنَ مَـــنْ لا يَـرْحَـمُ
مــا خِـلْـتُ بَــعْــدَكَ أنْ تُـشَـلَّ سَـواعِـدي
وتُـكَـفَّ بـاصِـرَتـي وظَـهْـري يُـقْـصَـمُ
هـذا حُـسـامُـكَ مَــنْ يَــذِلُّ بِــهِ الـعِـدَى
ولِــــواكَ هـــذا مَــــنْ بِـــهِ يَــتَــقَــدَّمُ

هَوَّنْتَ يا ابْنَ أبي مَصارِعَ فِتْيَتي
والجُرْحُ يُسكِّنُهُ الذي هو آلَمُ
يا مالِكاً صَدْرَ الشَّريعَةِ إنَّني
لِقَليلِ عُمْري في بُكاكَ مُتَمِّمُ[٣٠٥]

وفي العباس عليه السلام يقول الشاعر:

أحَقُّ الناسِ أنْ يُبْكَى عَلَيْهِ
فَتى أبْكَى الحُسينَ بِكَرْبلاءِ
أخوهُ وابْنُ والِدِهِ عَلِيٍّ
أبو الفَضْلِ المُضَرَّجِ بِالدماءِ
ومَنْ واساهُ لا يُثْنيهِ شيءٌ
وجادَ لَهُ عَلَى عَطَشٍ بِماءِ[٣٠٦]

ثم حمل عليه السلام على القوم فأخذ يضرب فيهم وهو يقول: «إلى أينَ تَفِرّون وقَدْ فَتَتُّمْ عَضُدي؟!» ثم رجع إلى أخيه وانحنى عليه يقبله ويبكي، ففاضت نفس العباس المقدسة ورأسه في حجر أخيه[٣٠٧] وصاح الحسين عليه السلام: «واأخاه!! واعبّاساه!!»[٣٠٨].

وهَوَى عَلَيهِ ما هُنالِكَ قائِلاً
اليومُ بانَ عن اليَمينِ حُسامُها
اليومُ سارَ عن الكَتائِبِ كَبْشُها
اليومُ غابَ عن الهُداةِ إمامُها
اليومُ نامَتْ أعْيُنٌ بِكَ لَمْ تَنَمْ
وَتسهَّدَتْ أُخْرَى فَعَزَّ مَنامُها[٣٠٩]

وفي بعض الكتب: أخذ الحسين عليه السلام رأسه ووضعه في حجره وجعل يمسح الدم عن عينيه فرآه وهو يبكي، فقال الحسين عليه السلام: «ما يُبكيكَ يا أبا الفَضْل؟!».

قال: «أخي، يا نورَ عيني وكيفَ لا أبْكي ومِثْلُكَ الآن جِئْتَني وأخَذْتَ رَأسي عن التُّرابِ، فَبَعْدَ ساعةٍ مَنْ يَرْفَعُ رأسَكَ عن التُّرابِ ومَنْ يَمْسَحُ التُّرابَ عنْ وجْهِكَ؟!»

وكان الحسين عليه السلام جالسا إذ شهق العباس عليه السلام شهقة وفارقت روحه الطيبة[٣١٠].

يقول بعض أرباب المقاتل أن الحسين عليه السلام حينما أقبل إلى أخيه العباس عليه السلام ووجد فيه رمق الحياة

انحنى عليه وأراد حمله إلى المخيم، فأحس العباس عليه السلام بأخيه وعلم ماذا يريد، فقال له: إلى أين تريد حملي؟!

فقال الحسين عليه السلام: أريد حملَكَ إلى المخيَّم

فقال العباس عليه السلام: يا أخي بحقِّ جدِّك رسولِ الله صلى الله عليه وآله عليك أنْ لا تحملني ودَعْني في مَكاني هذا!!

فقال الحسين عليه السلام: لماذا يا أخي؟!

فقال العباس عليه السلام: لأني مستحٍ من ابنتِك سكينة وقد وعدتُها بالماءِ ولمْ آتِ به.

فتركه الحسين عليه السلام في مكانه[٣١١].

وقال المرحوم العلامة الدربندي في (الأسرار) أنه عليه السلام قال: «إنِّي مُسْتَحٍ من ابنتِكَ سكينة وقد وَعَدْتُها بالماءِ ولمْ آتِها به والثاني أنا كَبْشُ كتيبتِكَ ومجْمَعُ عَـدَدِكَ، فإذا رآني أصحابُك وأنا مقتولٌ فلربَّما يَقِلُّ عزمُهم ويذلُّ صبرُهم» فقال الحسين عليه السلام: «جَزَيتَ عن أخيك خيراً حيث نَصَرْتَني حيّاً وميِّتاً»[٣١٢].

وقد بيَّن أرباب السير والمقاتل حالة الحسين عليه السلام حينما وقف على جسد أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام وهو مرمل بالدماء وقالوا:

وبان الانكسار في وجه الحسين عليه السلام وبكى بكاء شديدا، ونادى: «وا أخاه!! وا عبّاساه!! وا مُهْجَةَ قَلْباه!! وا ضَيْعَتاهُ بَعْدَكَ يا عبّاس!! الآن انْكَسَرَ ظَهْري، وَقَلَّتْ حيلَتي وانْقَطَعَ رَجائي!!».

وبانَ الانْكِسارُ في جَبينِه
فَانْدَكَّتِ الجِبالُ مِنْ حَنينِهِ
وكَيفَ لا وهُوَ جَمالُ بَهْجَتِه
وفي مُحَيّاهُ سُرورُ مُهْجَتِه
كافِلُ أهْلِهِ وساقي صِبْيَتِه
وحامِلُ اللِّوا بعالي هِمَّتِه[٣١٣]

فصاح الحسين عند ذلك: «أما مِنْ مُجيرٍ يُجيرُنا!! أما مِنْ مُغيثٍ يُغيثُنا!! أما مِنْ طالِبِ حَقٍّ فَيَنْصُرُنا!! أما مِنْ خائِفٍ مِن النارِ فَيَذُبَّ عَنّا!!».

وأقبلت إليه سكينة وقالت: «أين عمّي العبّاس؟! أراه أبْطَأَ بالماءِ علينا!!»

فقال لها: «إنَّ عَمَّكِ قدْ قُتِل وبَلَغَتْ روحُه الجِنانَ»[٣١٤].

فصرخت ونادت: «واعمّاه!! واعبّاساه!!»[٣١٥]، وسمعتها العقيلة زينب فصاحت: «واأخاه!! واعبّاساه!! واضيعَتاه بَعْدَكَ!!»

فقال الحسين عليه السلام: «إي والله، واضيعَتاه!! وانْقِطاعَ ظَهْراه بعدَك يا أبا الفَضْل!! يَعُزُّ عَلَيَّ والله فِراقُك».

فاجتمعت النساء حوله وجعلن يبكينه ويندبنه والحسين عليه السلام يبكي معهن حتى قيل بأنه أغمي عليه من شدة البكاء[٣١٦]، ثم أنشأ يقول:

أخي يا نورَ عَيْني يا شقيقي
فَلِي قَدْ كُنْتَ كَالرُّكْنِ الوَثيقِ
أيا ابْنَ أبي نَصَحْتَ أخاكَ حَتَّى
سَقاكَ اللهُ كَأساً مِنْ رَحيقِ
أيا قَمَراً مُنيراً كُنْتَ عَوْني
عَلَى كُلِّ النَّوائِبِ في المَضيقِ
فَبَعْدَكَ لا تَطيبُ لَنا حَياةٌ
سَنَجْمَعُ في الغَداةِ عَلَى الحَقيقِ
ألا للهِ شَكْوائي وصَبْري
وما ألْقاهُ مِنْ ظَمَأٍ وضيقِ[٣١٧]

وللعلامة الحجة الشيخ محمد حسين الإصفهاني الغروي قدس سره:

ناحَ عَلَى أخيهِ نَوْحَ الثَّكْلَى
بَل النَّبِيُّ في الرَّفيقِ الأعْلَى
ناحَتْ بَناتُ الوَحْيِ والتَّنْزيلِ
عَلَيه مُذْ أمْسَتْ بِلا كَفيلِ
ناحَتْ عَلَيْهِ الحورُ في قُصورِها
لِنَوْحِ آلِ البَيْتِ في خُدورِها
ناحَتْ عَلَيْهِ زُمَرُ الأمْلاكِ
مُذْ ناحَت العَقائِلُ الزَّواكي

نظرة أخرى إلى شجاعة العباس عليه السلام

ولو أننا قد تطرقنا كرارا إلى شجاعة العباس عليه السلام في أبعاد مختلفة وميادين شتى، إلا أننا نلفت الانتباه هنا إلى علامات مشرقة وإشارات مضيئة تعلو تلك الشجاعة التي بهرت أسرارها العقلاء وحيرت مكنونها العرفاء فلم يجدوا لها تفسيرا ولا تأويلا يشبع ذلك المقام شأنا وقدرا:

لقد كان العباس عليه السلام في المقام العالي والمرْقَى الرفيع من البطولة والشجاعة يمثِّل أباه حيدر الكرار في كراته وصولاته ويذكِّر الناس بضرباته وطعناته أيام بدر وأحد وخيبر وحنين وغيرها من المعارك والغزوات، فكان وأبوه مبيد المشركين وقاصم المعتدين وسهما من مرامي الله على الفجار والمنافقين حتى هلك على يديه عدد لا يمكن لذوي العقول البسيطة تصوره، فقد ورد في بعض كتب المقاتل أن العباس عليه السلام قتل في يوم عاشوراء ثمانمائة وخمسة وخمسين فارسا وقيل مائة وثمانين وقيل خمسمائة وعشرين وقيل أربعمائة وخمسين وقيل غير ذلك.

وروي أنه لما قطعت يمين العباس عليه السلام أخذ السيف بيساره وواصل القتال وقتل بيد واحدة خمسين رجلا من الأعداء غير من جرح منهم[٣١٨].

وروي أيضا أنه لما رأى الأعداء شجاعة العباس عليه السلام ورباطة جأشه وهو يقاتل بيد واحدة وشدة عزمه في إيصال الماء إلى المخيم نادى عمر بن سعد: «ويلَكُم ارْشِقوا القِرْبَةَ بالنَبْلِ فوالله إنْ شَرِبَ الحسينُ الماءَ أفناكم عن آخِرِكم، أما هو الفارسُ بنُ الفارسِ البَطَلُ المُداعِس»!! فحملوا عليه حملة رجل واحد، واستقبلهم العباس عليه السلام يضربهم بسيفه ويفرقهم يمينا وشمالا وكأنه النار في الأحطاب حتى قتل منهم مائة وثمانين فارسا!!

وقد يتساءل البعض: كيف يمكن التصور أن رجلا واحدا قد كثرت عليه المصائب ودارت عليه الأهوال يقتل هذه الأعداد الهائلة من الفرسان؟!

يقول الله تعالى في حديث قدسي: «ما تَحَبَّبَ إِلَيَّ عَبْدي بشَيءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيهِ وإنَّهُ لَيَتَحَبَّبُ إِلَيَّ بالنافِلَةِ حَتّى أُحِبُّهُ فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ ولِسانَهُ الذي يَنْطِقُ بِهِ ويَدَهُ التي يَبْطِشُ بِها ورِجْلَهُ التي يَمْشي بِها!!»[٣١٩]

لما يبذل الإنسان سمعه وبصره ويده ورجله وكل أعضائه وجوارحه في رضا الله تبارك وتعالى يزيد الله في نوره نورا من أنواره القدسية، ويزيد في طاقاته لترتفع عن الطاقات البشرية، وكما قال سيد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام: «ما قَلَعْتُ بابَ خَيْبَرٍ بِقُوَّةٍ جِسْمانِيَّةٍ بَلْ بِقُوَّةٍ رَبَّانِيَّةٍ»، وكذلك حينما يؤثر الإنسان رضا المولى تبارك وتعالى على هواه ورضاه فالله سبحانه وتعالى يكون متصرفا في نفسه وقلبه وعقله وبدنه، فبه يسمع وبه يبصر وبه يمشي وبه يبطش.

والعباس عليه السلام قد بلغ المعالي في التقوى وأحكم عقدة الطاعة لله تبارك وتعالى ونصح له سرا وعلانية ورضي بقضائه وصبر على ما أصابه في جنبه طالبا بذلك مرضاته وساعيا إلى بلوغ القرب منه حتى أمده الله بقوة إلهية وطاقة ربانية أعانته على تحمل تلك المصائب التي أذهلت العقول عن إدراكها وكلت الألسن عن بيانها.

معجزة العشق الحقيقي والعرفان الصادق

وقد يتساءل آخرون: ألم يشعر العباس عليه السلام بالآلام والأوجاع وهو يتلقى الضربات والطعنات حتى صار بدنه الشريف كالقنفذ؟! أو كيف تمكّن عليه السلام وهو مقطوع اليسار واليمين ومرضوخ الجبين ومشكوك بسهم في العين أن يواصل المحاربة والقتال أمام تلك الجيوش الجرارة؟!

في جواب ذلك يقول العرفاء: عندما يصل العشق الحقيقي إلى أوجه ومراتب العرفان إلى كماله ودرجات اليقين إلى غايته وتمتزج كلها حتى تصير حقيقة واحدة هنالك تتحقق غرائب المعجزات وخوارق العادات.

ولتقريب هذه الحقيقة والمفاهيم المذكورة إلى الأذهان نتطرق في هذا الباب إلى بعض الأمثلة في العشق المجازي:

لما أرسلت زليخا إلى نساء أشراف المدينة وأركان البلاد للحضور لديها لتريهنَّ ما ليوسف عليه السلام من حسن وجمال وآتت كل واحدة منهن سكّينا وفاكهة، عند ذلك أمرت يوسف عليه السلام أن يخرج إليهن، ﴿.... فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ....﴾[٣٢٠]، أي لما طلع يوسف عليه السلام ووقعت عليه أعينهن طارت عقولهن وفقدْن شعورهن فقطَّعْن أيديهن وذلك من قوة الجذبة التي سيطرت على جميع القوى الأخرى.

جـاء في التاريـخ أن «عـزَّة» دخلت على «كُـثَـيِّـر» (الشـاعر المعروف) وهو جالس في خيمته يخرط السـيوف، ولـما وقع بصره عليها بهـت في جمالها فأخذ يقطِّـع أصابعه بالمخرطة، وسـال الدم منها وهو لا يشعر[٣٢١].

وإذا كان الحـال كذلك في الحب المجازي الذي يـؤول في نهاية المطاف إلى العدم والفناء، فكيف إذا كان المحبـوب الحقيقـي حـيٌّ لا يموت؟! وكيـف إذا كان الجمال الحقيقي وكل الجـمال في خالق الجمال ومبدع الجمال وهو الذات الأحدية القدسية؟!

رُوي أن أمير المؤمنين عليه السلام أصيب في إحدى الحروب بسهم في رجله، ونظرا لشدة الألم أبى أن يُخرِج ذلـك السـهم، فقالـت فاطمة الزهراء عليها السلام لأصحابـه: «أخْرِجوهُ في حـالِ صَلاتِهِ، فإنَّـه لا يُحُسُّ»[٣٢٢]، وذلـك لكامـل توجهه لله تبـارك وتعالى وتمام انقطاعه عن عوارض الدنيـا وفنائه في ذات الله عز وجل في حال الصلاة.

وفي حديـث قـدسي أوحِيَ إلى داود عليه السلام: «يا داوُد، مَنْ أحَبَّ حَبيباً صَـدَّقَ قَولَه، ومَنْ رَضِيَ بِحَبيبٍ رَضِيَ فِعْلَـه، وَمَـنْ وَثِقَ بِحَبيبٍ اعْتَمَدَ عَلَيْه، وَمَنْ اشـتاقَ إلى حَبيبٍ جَدَّ في السـيرِ إليه، يا داوُد، ذِكْرِي لِلذاكِرين، وجَنَّتي لِلْمُطيعين، وحُبِّي لِلْمُشْـتاقين، وأنا خاصَّةُ الْمُحِبِّين»!![٣٢٣]

ولما تفانى أصحاب الحسـين عليه السلام لا سـيما أبا الفضل العباس عليه السلام في ذات الله واحترقت قلوبهم بحب الله لم يجدوا ما يطفئ هذه النار إلا الإسراع إلى لقاء الله تبارك وتعالى والسباق على نيل رؤية جمال الحق وعين الجمال.

فغلبة تلك اللذة الروحية والمعنوية وحرارة الشوق والحنين وتَوَقان النفس للقاء المحبوب الحقيقي أضعفت تلك الآلام والأوجاع بل محتها كل المحو.

أضف إلى ذلك مصيبة يوم عاشـوراء والتي صغرت دونها مصائب الأولين والآخرين، حينما رأى الأصحاب غربة سـبط الرسـول وقرة عين البتول وسـمعوا صيحاته التي ملأت الأفلاك واخترقت الأملاك وهو ينادي: «وا عَطَشـاه!! وا قِلَّةَ ناصِراه!! أما مِنْ مغيثٍ يغيثُنا!! أما مِنْ ناصرٍ ينصرُنا!! أما مِنْ ذابٍّ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ رَسولِ الله صلى الله عليه وآله»، فما كان جواب القوم إلا رمي بالنبال وطعن بالرماح وضرب بالسيوف، إلى جانب صيحة الأطفال وعويل النساء وحيرة بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، كل ذلك أشعل نيرانا في قلوب أصحاب الحسـين عليه السلام لا سـيما أبا الغيرة والحمية أبا الفضل العباس عليه السلام والتي طغت على كل الآلام والأوجاع الجسمية الناجمة عن قطع الأعضاء وتفتت الأوصال.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال الحسين عليه السلام لأصحابه قبل أن يُقتل إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: «يـا بُنَـيَّ، إنَّكَ سَتُسـاقُ إلى العِراقِ وهـي أرْضٌ قَدْ الْتَقَى بهـا النَبِيّونَ وأوصِيـاءُ النَبِيّينَ وهي أرضٌ

تُدْعَى عَمورا وأنَّكَ تَسْتَشْهِدُ بها ويَسْتَشْهِدُ مَعَكَ جَماعةٌ مِنْ أصْحابِكَ لا يَجِدونَ ألَمَ مَسِّ الحَديدِ، وتلا: ﴿قُلْنا يا نارُ كونِي بَرْداً وسَلاماً عَلَى إبْراهيم﴾[٣٢٤]، يَكونُ الحَرْبُ بَرْداً وسَلاماً عَلَيْكَ وعَلَيْهِم»[٣٢٥].

ولقد وصل أبو الفضل العباس عليه السلام بعرفانه الصادق وحبه الخالص لله وفنائه في ذات الله تبارك وتعالى إلى مرتبة خرج بها عن حدود عالم الناسوت وحلّق في عالم الملكوت ولهذا لم يشعر بالآلام والأوجاع.

مواقف موجعة في شهادة العباس عليه السلام

لقد كانت شهادة العباس عليه السلام مميزة دون شهادة سائر الشهداء يوم الطف، وفي هذا المضمار نشير إلى بعض المواقف المؤلمة والموجعة في شهادة العباس عليه السلام:

١ - نقل أحد العلماء عن ابن المرحوم العلامة السيد محمد كاظم القزويني - صاحب كتاب (علي من المهد إلى اللحد) و (المهدي من المهد إلى الظهور) و... و... - أن المرحوم آية الله سيد محمد إبراهيم القزويني (المتوفى عام ١٣٦٠ هـ) كان إمام الجماعة في الصحن المطهر لأبي الفضل العباس عليه السلام، وبعد إتمام صلاته صعد المرحوم حجة الإسلام الشيخ محمد علي الخراساني - (المتوفى عام ١٣٨٣ هـ) وكان أحد كبار الوعاظ - المنبر وأخذ يذكر مصيبة أبي الفضل العباس عليه السلام وتطرق خلال الحديث إلى إصابة عينه عليه السلام بسهم، فبكى آية الله السيد القزويني بكاء شديدا، ثم قال للشيخ الخراساني: لماذا تذكر هذه المصائب والتي لا نجد لها سندا قويا؟! ثم رأى السيد القزويني ليلا في عالم الرؤيا أنه تشرَّف بمحضر العباس عليه السلام فقال له: يا سيد إبراهيم، هل كنت حاضرا في كربلاء لتشهد ما فعلوا بي يوم عاشوراء؟! بعدما قُطِعت كلتا يدي أتتني السهام من كل جانب فوقع سهم في عيني، وأخذت أهز رأسي لعل السهم يخرج من عيني، فلم أستطع ووقعت عمامتي، فرفعت رجلي وانحنيت لأخرج السهم من عيني فضربت بعمود على رأسي[٣٢٦]!!

٢- كما ذكرنا سابقا لما أشرف أمير المؤمنين عليه السلام على الموت في ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان أخذ العباس عليه السلام وضمه إلى صدره الشريف (وقبَّل بين عينيه[٣٢٧]) وقال: «ولدي وسَتَقَرُّ عيني بِكَ يومَ القيامة، ولدي إذا كان يومُ عاشوراء ودَخَلْتَ المَشْرَعَةَ إيّاك أنْ تَشْرَبَ الماءَ وأخوكَ الحسينُ عَطْشان!!»[٣٢٨].

وقد وفى العباس عليه السلام بوصية أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وهو الإمام المفترض الطاعة وذلك لما دخل المشرعة وأراد أن يشرب غرفة من الماء ذكر عطش أخيه الحسين عليه السلام وأهل بيته[٣٢٩]، وقال الطريحي في (المنتخب) أنه قال: «والله لا أشربُه وأخي الحسين عليه السلام وعيالُه وأطفالُه عطاشى، لا كانَ ذلك أبداً»[٣٣٠]،

فرمى الماء.

لقد أتيحت لأبي الفضل العباس عليه السلام الفرصة ليشرب الماء ويبرد غليله وهو داخل المشرعة لا يراه أحد وقد تلظَّى كبده ويبس لسانه وأيقن بالفناء من شدة الظمأ وليس في شربه الماء جرم ولا عتب شرعي، ولكن نفسه الأبية وغيرته الشمّاء رفضت ذلك فأضرب عنه صفحا وطوى عنه كشحا، ورمى الماء على الماء حينما تذكر عطش أخيه الحسين عليه السلام وحال عياله وأطفاله وقد مدوا أبصارهم ينتظرون مجيء عمهم العباس عليه السلام بالماء.

إن العباس عليه السلام نهل من ينبوع الإيثار وشرب من كأس الوفاء شرابا عذبا طاهرا سائغا حتى ارتوى، فلم يغره ماء الفرات وهو يجري أمام عينيه المباركتين كأنه بطون الحيات بل لم تشتهِ نفسه برْدَها ولذيذها لأنه وجد اللذة الحقيقية في طاعة ولي الله وحجته على خلق الله وبذل النفس والنفيس في سبيل رضا الله تبارك وتعالى ورضا أهل بيت رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين.

دَنا ظامِياً والماءُ يَلْمَعُ طامِياً
وصَعَّدَ أنْفاساً بِها الدَّمْعُ صُوَّبا
وما هَمُّهُ إلا تَعَطُّشَ صِبْيَةٍ
إلى الماءِ أوراها الأوامُ[٣٣١] تَلَهُّبا
ولَمْ أنْسَهُ والماءُ مِلْءُ مَزادِهِ
يُقَلِّبُ طَرْفَ الطَّرْفِ شَرْقاً ومَغْرِبا
وما ذاقَ طَعْمَ الماءِ وهو بِقُرْبِهِ
ولكنْ رأى طَعْمَ المَنِيَّةِ أعْذَبا[٣٣٢]

٣- تحمَّل العباس عليه السلام ضروب المحن وأصناف البلاء وهو يجاهد أهل الكفر والنفاق، فلم ترهبه كثرتهم ولم ترعبه جموعهم بل كان يصول في أوساطهم كالطود الأشمِّ والبحر الخِضَمِّ يستقبل السيوف والرماح كأنها طاقة ريحان

يَلْقَى الرِماحَ بِنَحرِهِ فَكَأنَّما
في ظَنِّهِ عودٌ مِنَ الرَيْحانِ
وَيَرَى السُيوفَ وَصَوتَ وَقْعِ حَديدِها
عُرْساً تُجْليهِ عَلَيْهِ غَواني[٣٣٣]

ولكن أسفي عليه حينما أرقل[٣٣٤] جاهدا يحمل القربة بأسنانه ويداه تنضخان دما، فأصاب القربة سهم وأريق ماؤها!! تلك كانت المصيبة الكبرى والداهية العظمى حيث شعر بحراجة الموقف وثقل

الكارثة، فاغتمَّ لذلك وضاق صدره وسئم من الحياة استحياءً لخُلف الوعد ولو كان قهرا، فاحتار في أمره كيف الاعتذار لهؤلاء الصبية المتفطرة أكبادهم من شدة العطش!! وبينما هو كذلك إذ ضربه ملعون على رأسه ففلق هامته وخرَّ الكريم من على جواده وهو يحمل ذلك الحزن والأسى في قلبه حتى قضى.

والدليل على هول المصيبة على أبي الفضل العباس عليه السلام هو أنه حينما جلس الحسين عليه السلام عند رأسه وأراد أن يحمله إلى المخيم قال: «لا تَحْمِلْني إلى الخِيامِ مادُمْتُ حَيّاً، لأنّي أسْتَحْيي مِنْ سكينة، وَقَدْ وَعَدْتُها بالماءِ ولَمْ آتِها بِهِ»!!

٤- في مواقف عديدة من يوم عاشوراء تبين أن مصيبة العباس عليه السلام كانت أعظم المصائب وأجَلَّها بعد مصيبة أخيه الحسين عليه السلام، ولبيان هذا الأمر نورد بعضا منها:

أ- «الآن انْكَسَرَ ظَهْري وقَلَّتْ حيلَتي»!!، كلمة خالدة باقية على مر العصور والدهور، تفوَّه بها السيد الأطهر خامس أصحاب الكساء في شأن أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام، فغدت وساما نيِّرا يتلألأ على صدره الشريف تميز بها دون سائر الشهداء يوم الطفوف.

ب- لم يرد في الروايات أن الحسين عليه السلام قد بان الانكسار في وجهه عند استشهاد أي من الشهداء سوى العباس عليه السلام.

ج- لا يخفى أن الشهداء إذا أصابهم سهم كانوا يتمكنون من دفعه بأيديهم أو يخرجون من أبدانهم بها، فما حال من قُطِعت يمينه وشماله والرماة حوله أربعة آلاف!!

وأشار السيد حيدر بقوله:

وهَلْ يَمْلِكُ المَوتورُ قائِمَ سَيْفِهِ
لِيَدْفَعَ عَنْهُ الضَّيْمَ وهوَ بِلا كَفِّ!!

د- وكل فارس إذا أراد الترجل يتلقى بإحدى يديه قبة السرج وبإحدى يديه الشكيمة[٣٣٥] ويترجَّل، فما حال من يداه مقطوعتان!!

هـ- كل شهيد إذا سقط على الأرض استقبل الأرض بيديه فيهون عليه السقوط، فما حال من كان جسيما وبدنه كالقنفذ من كثرة السهام والنبال!![٣٣٦]

يقول المرحوم العلامة السيد عبدالرزاق المقرم في (مقتل الحسين عليه السلام):

سمعت العالم الفاضل الشيخ كاظم سبتي رحمه الله يقول: أتاني بعض العلماء الثقاة وقال: أنا رسول العباس عليه السلام إليك، رأيته في المنام يعتب عليك ويقول: لَمْ يذكر مصيبتي شيخ كاظم سبتي، فقلت له: يا سيدي، ما زلت أسمعه يذكر مصائبك، فقال عليه السلام: قل له يذكر هذه المصيبة وهي:

«إن الفارس إذا سقط من فرسه يتلقى الأرض بيديه، فإذا كانت السهام في صدره ويداه مقطوعتان بماذا يتلقى الأرض؟!»(٣٣٧)

و - الجراحات التي كانت في جسد العباس عليه السلام لا تُعَدُّ ولا تُحصَى وأكثر من جراحات سائر الشهداء، لأن الإنسان يحفظ جسده وبدنه عن جميع الآفات باليدين والعين، ينظر بعينه ويدفع بيده، وأهل الكوفة (لع) أحاطوا بالعباس عليه السلام وقطعوا يديه أولا ثم رموا عينه بسهم، فوقف العباس عليه السلام بينهم مقطوع اليدين ومشكوك العين لايرى شيئا ولا يتمكن من دفع شيء وهو صنعوا به ما صنعوا، وقيل أن الحسين عليه السلام لم يحمله إلى المخيم لأنه لم يتمكن من حمله من كثرة الجراح وما كان قابلا للحمل والنقل(٣٣٨).

ي - وأشد مصيبة جرحت روح أبي الفضل العباس عليه السلام وضاعفت هموم قلبه أضعافا مضاعفة حينما خاب أمله وانقطع رجاؤه في إيصال السقاية إلى النساء والصبية، وأعظم مصيبة أصابت بدنه الشريف لما قطعت كلتا يديه وأصبح هدفا لصوائب السهام والنبال حتى صار بدنه كالقنفذ، وأوجع مصيبة أصابت رأسه المقدس حينما ضُرب بعمود من حديد على رأسه ففلقت هامته.

ز - والمصيبة التي ترقُّ لها القلوب أسفا وحزنا أنه توجه إلى الميدان وحيدا وسلَّم روحه الطاهرة إلى بارئها بجنب العلقمي غريبا في العراء مرمل بالدماء بعيدا عن سائر الشهداء تصهره الشمس وتسفي عليه ريح الصبا.

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يلتقط الدماء الزاكية في قارورة ويرفعها إلى مقام الجلالة

عن ابن عباس أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يرى النائم نصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم!! فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا؟! قال: «هذا دَمُ الحُسينِ وأصْحابِهِ لَمْ أزَلْ ألْتَقِطُهُ مُنْذُ اليوم».

فأحصي ذلك اليوم فوجد قد قتل يومئذ(٣٣٩).

وروي أيضا أن ابن العباس استيقظ من نومه فاسترجع وقال: قتل الحسين والله!! فقال له أصحابه: كلا!! قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه زجاجة من دم، فقال: «ألا تَعْلَمْ ما صَنَعَتْ أمَّتي مِنْ بَعْدي؟! قَتَلوا ابْني الحُسينَ وهذا دَمُهُ ودَمُ أصْحابِهِ أرْفَعُها إلى الله عَزَّ وجَلَّ».

ثم قال الراوي: فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه وتلك الساعة، فما لبثوا إلا أربعة وعشرين يوما حتى جاءهم الخبر من المدينة أنه قتل ذلك اليوم وتلك الساعة(٣٤٠).

وأقول: لما أبى أصحاب الحسين عليه السلام وفي مقدمتهم كبش الكتيبة بطل المسناة أبو الفضل العباس عليه السلام

إلا أن ينصروا سبط المصطفى الهادي صلى الله عليه وآله في غربته ويعينوه في وحدته، والذين قال فيهم الحسين عليه السلام: «إِنِّي لا أَعْلَمُ أَصْحاباً أَوفَى وَلا خَيْراً مِنْ أَصْحابِي ولا أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ وَأَوصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي»، وأنبأ عنهم جبريل رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «فإذا بَرَزَتْ تِلْكَ العِصابَةُ إلى مَضاجِعِها تَوَلَّى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَبْضَ أَرْواحِها بِيَدِهِ»[٣٤١]، فبذلوا مهجهم دونه، وامتزجت دماءهم بدمه الطاهر، واختلطت أنفاسهم بنَفَسه الزاكي، فلا غرو أن تُجمع دماؤهم في قارورة الوفاء والإيثار، وترفع بيد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مقام الكرامة والزلفى في مقعد صدق حيث أرواحهم الزاكية التي قُبضت بيد الملك المنان ﴿جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً﴾.

مَنِ المُعَزِّي رَسولَ اللهِ في مَلأٍ
كانوا بِمَنْزِلَةِ الأشْباحِ لِلصُّوَرِ

أنْ يَنْزِلوا حَضْرَةَ السُّفْلَى فَإنَّهُمُ
مِنْ حَضْرَةِ المَلِكِ الأعْلَى عَلَى سُرُرِ

وإنْ أبَوا لَذَّةَ الأولَى مُكَدَّرَةً
فَقَدْ صَفَتْ لَهُم الأخْرَى بِلا كَدَرِ

مقام كفَّي العباس عليه السلام

هناك مشهدان ومزاران في كربلاء المعلَّى بالقرب من ضريح أبي الفضل العباس عليه السلام، أحدهما معروف بمشهد الكف اليمنى والثاني مشهد الكف اليسرى، وهذا أمر توارثه الخلف من السلف أن العباس عليه السلام قطعت يمينه في مكان ذلك المشهد المعروف بمشهد الكف اليمنى، وقطعت يساره في مكان المشهد المعروف بمشهد الكف اليسرى، وعلى هذا الأساس يحترم شيعة آل بيت المصطفى صلوات الله عليهم ومحبيهم تلك المقامات العاليات غاية الاحترام ويجللونها غاية الإجلال وينتفعون من أنوارها وبركاتها على كرور الأيام والأزمان.

١- مشهد الكف اليمنى :

يقع مشهد الكف اليمنى في جهة الشمال الشرقي على حد محلة باب بغداد ومحلة باب الخان قريبا من باب الصحن المطهر الواقعة في الجهة الشرقية[٣٤٢] وعلى جدار المشهد شباك نحاسي صغير مقفل بقفل ونقش عليه بيتان بالفارسية لم يكتب اسم ناظمها ولا تاريخ البناء وعلى لوحه رسم كفين متقابلتين نقشتا بالقاشاني، ونص البيتين:

افتاد دست راست خدايا زبيكرم

بر دامن حسين برسان دست ديكرم

دست جبم بجاست اكر نيست دست راست

اما حيف كه يك دست بي صداست[٣٤٣]

٢- مشهد الكف اليسرى:

ويقع في السـوق الصغـير القريب من الباب الصغير للصحن الواقعة في الجنوب الشرقي ويعرف بسـوق بـاب العباس الصغـير، وعلى جداره شباك نحاسي صغير وكتـب عليه بالقاشـاني: «هذا نظم الشيخ محمد المعروف بالسراج»:

سَـلْ إذا ما شِئْتَ واسْمَعْ واعْلَمِ
ثُمَّ خُذْ مِنِّي جَوابَ المُفْهَمِ
إنَّ في هذا المَقامِ انْقَطَعَتْ
يُسْرَةُ العَبّاسِ بَحْرِ الكَرَمِ
ههنا يا صاحِ طاحَتْ بَعْدَما
طاحَتْ اليُمْنَى بِجَنْبِ العَلْقَمي
إجْرِ دَمْعَ العَيْنِ وابْكِهِ أسىً
حَقُّ أنْ تَبْكي بِدَمْعٍ مِنْ دَمِ[٣٤٤]

مشهد رأس العباس عليه السلام

بعد استشـهاد أبي عبدالله الحسـين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه أُمر بقطع رؤوس الشـهداء، وروي أنها كانت ثمانية وسـبعين رأسـا، واقتسـمتها القبائل لتتقرب بها إلى عبيدالله وإلى يزيد، فجاءت كندة بثلاثة عشر رأسا وصاحبهم قيس بن الأشعث ، وجاءت هوازن باثني عشر رأسا وصاحبهم شمر، وجاءت تميم بسـبعة عشر رأسـا، وجاءت بنو أسـد بستة عشر رأسـا، وجاءت مذحج بسبعة رؤوس، وجاءت سائر الناس بثلاثة عشر رأسا[٣٤٥].

وقيل أن عمر بن سـعد بعث برأس الحسين عليه الصلاة والسلام في ذلك اليوم وهو يوم عاشوراء مـع خـولي بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسـلم الأزدي إلى عبيدالله بن زيـاد، وأمر برؤوس الباقين من أصحابـه وأهـل بيتـه فقطعـت وسُرِّح بها مع شـمر بن ذي الجوشـن وقيـس بن الأشـعث وعمرو بن الحجاج وأقبلوا بها حتى قدموا الكوفة[٣٤٦].

ورأسُ فخارٍ سيمَ خَفْضاً فما ارْتَضى
سِوَى الرَّفْعُ فوقَ السَّمْهَرِيَّةِ مَنْصِبا[٣٤٧]

ونسـتفيد مـن متـون المقاتـل أن رأس أبي الفضل العباس عليه السلام رفـع على القنا وسُرِّح بـه إلى ابن زياد في الكوفة مع رأس أخيه الحسـين عليه السلام، ثم سـاروا بتلك الرؤوس الزاكيات إلى يزيد في الشـام، وتختلف

الروايـات في مـكان دفن رأس أبي الفضل العبـاس عليه السلام، فالبعض يقول أنه دفـن في مقبرة باب الصغير بدمشـق، والبعـض الآخـر يقـول أنه سُـلِّم إلى الإمام السـجاد عليه السلام ومـن ثم أتى بـه وبرأس أبيه سـيد الشهداء عليه السلام يوم الأربعين إلى كربلاء وألحقها بالأجساد الطاهرة[٣٤٨].

وهناك روايات أخرى في هذا الشأن نقل عن قاسم بن الأصبغ بن نباتة، ولكن نظرا لضعفها نمتنع عن إسرادها.

ذكر السيد محسن الأمين العاملي في كتاب (أعيان الشيعة) تحت عنوان مشهد رؤوس العباس وعلي الأكبر وحبيب بن مظاهر بدمشق ونصه:

رأيـت بعـد سـنة ١٣٢١ في المقبرة المعروفة بمقبرة باب الصغير بدمشـق مشـهدا وضـع فوق باب صخرة كتب عليها ما صورته: «هذا مدفن رأس العباس بن علي ورأس علي بن الحسين الأكبر ورأس حبيـب بـن مظاهر»، ثـم أنه هدم بعد ذلك بسـنتين وأعيد بناؤه وأزيلت الصخـرة وبني ضريح داخل المشـهد ونقش عليه أسماء كثيرة لشـهداء كربلاء[٣٤٩]، ولكن الحقيقة أنه منسوب إلى الرؤوس الشريفة الثلاثة المقدم ذكرها بحسـب ما كان موضوعا على بابه كما مر، وهذا المشـهد الظن يقوى بصحة نسـبته لأن الرؤوس الشريفة بعد حملها إلى دمشق والطواف بها وانتهاء غرض إظهار الغلبة والتنكيل بأهلها لابـد أن تدفـن في إحدى المقابر، فدفنت هذه الـرؤوس الثلاثة في مقبرة باب الصغير وحفظ محل دفنها والله أعلم[٣٥٠].

والمرحوم العلامة السيد عبدالرزاق المقرم بعد نقله رأي العلامة السيد محسن الأمين رضي الله عنه يقول: هذا ما ذكره سيدنا الحجة أيده الله ولو اطَّلع على (حبيب السير) لاعتقد عدم صحة الدفن هنا.

ثم يقول: وليس بالمستبعد أن ذلك المقام محل صلب الرؤوس[٣٥١].

أم البنين عليها السلام ترثي أولادها

أشرنـا في الفصـل الأول إلى بعـض فضائـل أم البنـين عليها السلام وعرفانهـا ومـا كانـت عليـه مـن الوفاء والإخلاص وقوة الإيمان وثبات العقيدة والولاء الخالص لأهل بيت النبوة.

ويسـتفاد مـن ذلـك أن بُشْرا لمـا نعى إليهـا أولادها الأربعة قالـت: «يا هـذا، قَطَّعْتَ نِيـاطَ قَلْبي، أولادي وَمَنْ تحْتَ الخَضْراءِ كُلُّهُم فِداءً لأبي عَبْدِالله الحسين عليه السلام!!»

ولكـن إلى جانب قوة إيمانها وخلوص تشـيعها كانت رقيقة القلب مرهفة المشـاعر، ولما وصلها نبأ استشـهاد أولادهـا الأربعة كانت تحمل عبيدالله بن العباس عليه السلام عـلى كتفها وتمضي به إلى البقيع وتندب أولادها الشـهداء أشـجى ندبة وأحرقها فيجتمع الناس فيسـمعون بكاءها وندبتهـا، وكان مروان بن

الحكم على شدة عداوته لبني هاشم يجيء مع من يجيء فلا يزال يسمع ندبتها ويبكي!![٣٥٢]؟
ولما كانت نساء المدينة تأتي إليها لتعزيها بأولادها كانت تبكي وتقول:

لا تَدْعُوَنّي وَيْكِ أمَّ البَنين
تُذَكِّريني بِلُيوثِ العَرينِ
كانَتْ بَنونَ لي أدْعى بِهِمْ
واليومَ أصْبَحْتُ ولا مِنْ بَنينِ
أرْبَعَةٌ مِثلُ نُسورِ الرُّبى
قَدْ واصَلوا المَوْتَ بِقَطْعِ الوَتينِ
تَنازَعَ الخِرْصانُ أشلاءَهُمْ
فَكُلُّهُمْ أمْسى صَريعاً طَعينِ
يا لَيْتَ شِعْري أكَما أخْبَروا
بِأنَّ عَبّاساً قَطيعَ اليَمينِ[٣٥٣]

وتنسب إليها هذه الأشعار أيضا:

يا مَنْ رَأى العَبّاسَ كَرَّ
عَلَى جَماهيرِ النَّقْدِ[٣٥٤]
ووراه مِنْ أبْناءِ حَيْدَرٍ
كُلُّ لَيْثٍ ذي لُبَدِ
أنْبِئْتُ أنَّ ابْني أصيبَ
بِرَأسِهِ مَقْطوعَ يَدِ
وَيلِي عَلَى شِبْلِي أمالَ
بِرَأسِهِ ضَرْبُ العَمَدِ
لَوْ كانَ سَيْفُكَ في
يَدَيْكَ لَما دَنى مِنْكَ أحَدِ[٣٥٥]

الفصل الرابع

مرقد العباس عليه السلام
وما طرأ عليه من التجديدات
وبعض كراماته

السر في استقلال مرقد أبي الفضل العباس عليه السلام عن باقي الشهداء

تظافـرت النصـوص الواردة أن المرقد الشريف لأبي الفضل العباس عليه السلام واقع بجنب نهر الفرات في كربلاء المعلَّى، وهو موئل الزائرين ومختلَف العاشقين ومزدلَف المتفانين في حب آل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، والحضرة العباسية المقدسة تتضمن حرما ملكوتيا رفيع المقام وقبة شامخة تتجلل بأنوارها لتبلغ عنان السماء.

ولكـن يبقـى هناك تساؤل وهو: لماذا كان مرقد أبي الفضـل العباس عليه السلام المطهر مستقلا عن باقي الشهداء ويبعد عن مرقد أبي عبدالله الحسين عليه السلام ثلاثمائة وخمسين مترا تقريبا؟!

للرد على هذا التساؤل نلفت الانتباه إلى بعض المطالب:

المعروف عند أرباب المقاتل أن أبا عبدالله الحسين عليه السلام حينما يستشهد رجل من أهل بيته أو أصحابه كان يأمر فتيانه بحمله إلى الفسطاط[٣٥٦] سوى العباس عليه السلام الذي تركه في مكانه قريبا من المسناة، و هناك أقوال كثيرة وآراء مختلفة في بيان سر ذلك ومكنونه نورد منها قولين نراهما أكثرها رجحانا:

١ – يقول البعض أنه لم يكن بوسع الإمام الحسين عليه السلام حمل أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام إلى الفسطاط لأنه كلما كان يحمل جانبا منه يسقط الجانب الآخر لكثرة جروحه وتقطع أوصاله وتوزيع أشلائه، فقد كان العدو من الشدة والغلظة وقساوة القلب والبغض لآل علي عليه السلام أن قطعوه إربا إربا تشَفِّياً من شبل علي عليه السلام ولما لاقوه من القوة والبأس وهو ينكس أبطالهم ويصرع شجعانهم وينثر جماجمهم.

يـروى أن الحسين عليه السلام لما قام عن أخيه بعدما فاضت روحه الطاهرة رجع إلى المخيم باكيا منكسرا منحني الظهر، ولما رأت زينب عليها السلام أخاها يكفكف دموعه بكمه صاحت وهي تقول: «واأَخاه!

واعَبَّاسَاه! واقِلَّةَ نَاصِرَاه! واضَيْعَتَنا مِن بَعْدِك!».

ثم قالت زينب عليها السلام لأخيها الحسين عليه السلام: لِمَ لَمْ تأتِ بأخي العباس عليه السلام؟!

فقال لها الحسين عليه السلام: أختاه، رأيته وقد قطعت أعضاءه إربا إربا فلم أستطع حمله[٣٥٧]!!

٢- ولعل ترك الإمام الحسين عليه السلام أخاه العباس عليه السلام بجنب الفرات كان لوجه ملكوتي وسر لاهوتي وعلم لَدُنِّي أظهرته الأيام فيما بعد وهو أن يكون للعباس عليه السلام مقام مستقل به ومشهد قائم بذاته يقصد بالحوائج والزيارات، وبقعة يزدلف إليها الناس وتتزلف إلى المولى سبحانه فتظهر الكرامات الباهرة وتعرف الأمة مكانته السامية ومنزلته عند الله تعالى فتقدره حق قدره وتؤدي ما وجب عليهم من الحب المتأكد والزورة المتواصلة ويكون عليه السلام حلقة الوصل بينهم وبين الله تعالى وسبب الزلفى لديه، فشاء المهيمن تعالى شأنه وشاء وليه وحجته أن تكون منزلة أبي الفضل الظاهرية شبيهة بالمنزلة المعنوية الأخروية، فكان كما شاءا وأحبا[٣٥٨].

ونرى أن القول الثاني أكثر صحة من القول الأول وأنسب معنى.

وفيما يلي نستعرض سلسلة مفهرسة عن كيفية دفن جسد العباس عليه السلام المقدس وبناء المرقد المطهر وعمارته والتحولات التي طرأت عليه إلى يومنا هذا.

السجّاد عليه السلام يدفن جسد عمه العباس عليه السلام

في اليوم الثالث عشر من المحرم - أي اليوم الثالث بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام - أقبل الإمام السجاد عليه السلام من الكوفة إلى أرض كربلاء سرا، فرأى طائفة من بني أسد قد اجتمعت حول الجثث الزواكي وهم في حيرة من أمرهم كيف يدفنونها وقد فرَّق القوم بين الرؤوس منهم والأبدان، فخطَّ لهم السجاد عليه السلام خطوطا في الأرض وأمرهم بدفن الجثث الطاهرة في الأماكن التي حددها لهم، باستثناء جثتين دفنهما بنفسه الطاهرة:

١- الجسد المقدس لسيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام، لأنه لا يلي أمر المعصوم إلا المعصوم[٣٥٩].

٢- جسد أبي الفضل العباس عليه السلام، وهذا دليل صريح بعظيم الشرف وجليل المقام الذي ناله أبو الفضل العباس عليه السلام أن تلي دفنه يد الإمامة والعصمة.

بعدما وارى الإمام السجاد جسد أبيه الطاهر التفت إلى بني أسد وقال: انظروا هل بقي أحد؟!

فقالوا: نعم يا أخا العرب، بقي بطل مطروح حول المسناة وكلما حملنا منه جانبا سقط الآخر لكثرة ضرب السيوف وطعن الرماح ورشق السهام.

فقال عليه السلام: امضوا بنا إليه[٣٦٠].

فمضوا إليه، ولما رآه السجاد عليه السلام انكب عليه يقبّله ويقول: «عَلَى الدُّنْيا بَعْدَكَ العَفا يا قَمَرَ بَني هاشِم، وعَلَيْكَ مِنِّي السَّلامُ مِنْ شهيدٍ مُحْتَسِبٍ وَرَحْمَةُ الله وبَرَكاتُه»[٣٦١].

ثم أمرهم أن يشقوا ضريحا، فأنزله فيه وحده ولم يشرك معه أحدا!![٣٦٢]

يقول العلامة المحقق المرحوم السيد عبدالرزاق المقرم في مقتله:

ثم مشى إلى عمه العباس عليه السلام فرآه بتلك الحالة التي أدهشت الملائكة بين أطباق السماء وأبكت الحور في غرف الجنان، ووقع عليه يلثم نحره المقدس قائلا: «عَلَى الدُّنْيا بَعْدَكَ العَفا يا قَمَرَ بَني هاشِم وعَلَيْكَ مِنِّي السَّلامُ مِنْ شهيدٍ مُحْتَسِبٍ وَرَحْمَةُ الله وبَرَكاتُه»، وشق له ضريحا، وأنزله وحده كما فعل بأبيه الشهيد، وقال لبني أسد «إنَّ مَعي مَنْ يُعينُني!!»[٣٦٣].

وقد قال الإمام السجاد عليه السلام «إنَّ مَعي مَنْ يُعينُني» في شأن أبي الفضل العباس عليه السلام كما قالها في شأن أبيه الإمام الحسين عليه السلام حينما تقرَّب الرجال من بني أسد ليعينوه على دفن تلك الجثة الطاهرة فإذا هو يقول: «أنا أكْفيكُم أمْرَه!!».

فقالوا: يا أخا العرب، كيف تكفينا أمره وكلنا اجتهد على تحريك عضو من أعضائه فلم نتمكن!!

فبكى عليه السلام وقال: «إنَّ مَعي مَنْ يُعينُني عَلَيه»[٣٦٤].

ونحن إذ نذكر هذه الروايات والأحاديث الواردة في شأن أصحاب الحسين عليه السلام إنما نسلِّط الضوء على حامل لواء الحق وكبش كتيبة الفداء الذي تصدَّر القائمة في الإيثار والتضحية وبلغ الذروة في الإخلاص في الولاية البطل الهمام أبي الفضل العباس عليه السلام فنال عظيم الشرف والمقام، فطوبى لمن كان حفْر قبره ودفْنه بيد صاحب الرسالة المباركة سيد البشر وخاتم الأنبياء والرسل صلوات الله عليه وعلى آله الميامين.

مراحل بناء مرقد العباس عليه السلام وتجديده

كما ذكرنا سابقا أن أبي عبدالله الحسين عليه السلام ترك جسد أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام في مكانه ولم يحمله إلى الفسطاط كما حمل بقية الشهداء، ذلك أن الحسين عليه السلام ببصيرة ملكوتية ومكنون علم الإمامة شاء أن تكون البقعة التي يدفن فيها العباس عليه السلام مرقدا مشيدا ومزارا يقصد إليه المحبون لآل البيت بالحوائج والزيارات تخصيصا له بالكرامة في أن تكون له المنزلة المعنوية الرفيعة بعد استشهاده كما كانت له المنزلة الظاهرية في حياته ولكي يعرفه الناس حق عرفانه ويقدِّرون شأنه حق قدره.

ولقد خصص الإمام الصادق عليه السلام زيارة لأبي الفضل العباس عليه السلام يزار بها دون جمع الشهداء يبين فيها المعاني السامية والمقامات الرفيعة التي نالها العباس عليه السلام كما بيّن لنا سيد الساجدين عليه السلام ما أعد الله تبارك وتعالى لعمه العباس عليه السلام من جزيل الأجر وحسن المثوبة ومنزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة.

ولما أراد الله سبحانه أن يشمل العباس عليه السلام بخاصة ألطافه ويتفضل عليه بميامن مننه ويسبغ عليه وافر نعمائه ويجزل له فيض عطائه حباء منه ومكرمة جعله مثالا حقيقيا ومصداقا جليا لواقع الآية المباركة: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ...﴾(٣٦٦)، والتي خصها الله تبارك وتعالى لأنبيائه وأوليائه ومهابط وحيه ومنازل ملائكته، فجعل أفئدة النجباء من خلقه والصفوة من عباده تحنُّ إليه تقرُّبا منهم إلى الله ومودة منهم لرسول الله ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(٣٦٧)، إما تعظيما وتبجيلا معنويا أو تعظيما ظاهريا بالعمارة والتشييد، فهم محال ذكر الله ومنازل التقرب إلى الله.

و العباس بن علي عليه السلام غصن متصل بشجرة النبوة وتحفة من نور جوهر الرسالة، اشرأبَّ قلبه إلى أقطاب الولاية، ونهلت روحه من فيض أنوار الإمامة، واستوعبت نفسه نفحات الطهارة والعصمة، فشاء الله سبحانه تعالى وشاء حجته على خلقه أن يكون للعباس عليه السلام مشهدا روحانيا ومرقدا ملكوتيا وحرما نورانيا رفيع الشأن والمقام ينير الفضاء بأنواره الساطعة ويوازي بجلالته وعظمته مشهد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ومشهد أخيه الحسين عليه السلام، وعلى هذا رأى أولياء الله الصالحين والموالين لحجج الله الطاهرين جيلا بعد جيل أن يتعاهدوا المرقد الأطهر ويجددوا عمارة المشهد المعظم كلما آل إلى الخراب والانهدام حتى يتجلى كل يوم لزواره بكامل بهائه ورونقه ورفعته.

وفي مراحل تشييد وعمارة المشهد العباسي عليه السلام المقدس نشير إلى ما كتبه بعض المؤرخين والباحثين في ذلك:

حسب ما جاء في التاريخ وبعض آثار أهل البيت عليهم السلام أنه كان للعباس عليه السلام منذ العصر الأموي حرما مبنيا ومرقدا مشيدا، ومما يدل على ذلك ما ورد عن أبي حمزة الثمالي أنه قال قال الصادق عليه السلام: «إذا أَرَدْتَ زِيارَةَ قَبرِ العَبّاسِ بْنِ عَلِيٍّ وهُو عَلَى شَطِّ الفُراتِ بِحِذاءِ الحَيْرِ(٣٦٩) فَقِفْ عَلَى بابِ السَّقيفَةِ وَقُلْ سَلامُ اللهِ وَسَلامُ مَلائِكَتِهِ المُقَرَّبينَ....»(٣٧٠) إلى آخر الزيارة.

ويجدر بالذكر أن قبيلة بني كلاب - وهي القبيلة التي تنتمي إليها أم البنين عليها السلام والدة العباس عليه السلام وقبيلة بني أسد وقبائل أخرى تشترك في النسب مع العباس عليه السلام كانت تسعى لعمارة مشهده الشريف وتشييد بنائه، ولم يشارك بنو أمية في عمارة المرقد إلا أنهم لم يمنعوا تلك القبائل عن ذلك لصلة القرابة التي كانت بينهم وبين أم البنين عليها السلام.

ونستدل من صريح ما ورد في الروايات والأحاديث والتواريخ أن بني أسد – وهم من الشيعة الموالين لأهل البيت عليهم السلام وكانوا نزولا بالغاضرية – هم الذين أسسوا البناء الأول لمرقد أبي عبدالله الحسين عليه السلام والعباس عليه السلام وأقاموا رسما ونصبوا علما على قبريهما حتى لا يدرس أثرهما.

ونلخص فيما يلي التجديدات التي طرأت على عمارة مشهد أبي الفضل العباس عليه السلام المنور من القرن الأول من الهجرة إلى يومنا هذا:

١- لعمارة الأولى: بعد ثورة مختار الثقفي على قتلة الحسين عليه السلام عام ٦٦ من الهجرة بدأ بعمارة مدينة كربلاء ومن جملتها مرقد العباس عليه السلام.

ولم يزل معمورا إلى عام ١٧٠ من الهجرة حيث أمر هارون الرشيد – خامس الخلفاء من بني العباس – بكرب[٣٧١] قبر الحسين عليه السلام وما حوله.

٢- العمارة الثانية: في عام ١٩٨ من الهجرة أعاد الشيعة الموالون لأهل البيت عليهم السلام في زمن خلافة المأمون – سابع الخلفاء العباسيين – بناء مرقد العباس عليه السلام المطهر إلى أن حكم المتوكل – عاشر الخلفاء من بني العباس – عام ٢٣٢ من الهجرة وأمر بتخريب قبر الحسين عليه السلام وقبور أصحابه ومنهم قبر أبي الفضل العباس عليه السلام وكرب مواضعها وهدم بنيانها وأمر أن يجروا عليها الماء من نهر العلقمي بحيث لا تبقى لها أثر ولا أحد يقف له على خبر[٣٧٢].

٣- العمارة الثالثة: ولما قتل المتوكل عام ٢٤٧ من الهجرة قام بالأمر من بعده ابنه المنتصر[٣٧٣] – الخليفة العباسي الحادي عشر – وكان من شيعة أهل البيت عليهم السلام فعطف على آل أبي طالب وأحسن إليهم وفرق فيهم الأموال وأعاد تعمير القبور في أيامه بما فيها قبر العباس عليه السلام.

٤- العمارة الرابعة: دخل عضد الدولة الديلمي – وهو أحد حكام سلسلة آل بويه – بغداد عام ٣٦٧ من الهجرة، ثم زار النجف وكربلاء، وكان له دور كبير في عمارة العتبات المقدسة والروضات البهية حتى بلغ الغاية في إجلالها وتعظيمها، وأمر بعمارة مشهد أبي الفضل العباس عليه السلام المنور عام ٣٦٧ من الهجرة واستمر بناؤه حتى عام ٣٧٢ من الهجرة[٣٧٤].

٥- عصر الجلايريين: بعد تأسيس دولة الجلايريين في إيران وحكومة الشيخ حسن الإيلكاني عام ٧٤٠ من الهجرة بدأ ابنه السلطان أويس الإيلكاني بترميمات واسعة في العتبات المقدسة والمشاهد الشريفة ومنها مشهد أبي الفضل العباس عليه السلام والتي انتهت في عصر ابنه السلطان أحمد عام ٧٨٦ من الهجرة.

٦- عصر الصفويين: دخل الشاه إسماعيل الصفوي – أول الحكام الصفويين – كربلاء عام ٩١٤ من الهجرة، وأمر بتجديدات واسعة النطاق للعتبة المقدسة لأبي الفضل العباس عليه السلام، وأهدى اثني

عشر قنديلا من الذهب الخالص - بعدد الأئمة المعصومين﵈ - أتى بها من إيران إلى الحرم الشريف، ووكَّل عليها خدما مخصصين للمحافظة عليها وإنارتها والذين اشتهروا فيما بعد بآل قنديل، وأمر بفرش الحرم وجميع الأروقة بألوان السجاد الإصفهاني المنسوج من الحرير الطبيعي، وأمر أيضا بطلاء القبة الملكوتية السامية للحرم المطهر بالآجر الأخضر المصقول (الكاشي)، وبقيت القبة على هذا الطراز حتى عام ١٣٠٢ من الهجرة[٣٧٥].

٧- عصر نادر شاه أفشار: وفي عام ١١٥٣ من الهجرة أرسل نادر شاه أفشار إلى الحرم المطهر تحفا كثيرة وزينت بعض تلك المباني بالقوارير[٣٧٦] ونقشت بعض الأروقة بالبلور على نفقته الخاصة[٣٧٧].

- جور الوهابيين وجرائمهم الوحشية: في الثامن عشر من شهر ذي الحجة عام ١٢١٦ من الهجرة ومع توجه الناس من كربلاء إلى النجف الأشرف لدرك زيارة عيد الغدير هناك، انتهز البعض تلك المناسبة وهجموا على كربلاء المقدسة وتعدوا على الحرمين الشريفين بالتخريب ونهبوا كل ما فيهما من الذخائر والنفائس والمجوهرات الثمينة.

٨- عصر القاجاريين: لما علم أهل إيران الموالون والمخلصون لأهل بيت العصمة بالهجمة الوحشية وغارتهم الهمجية على كربلاء المعلَّى قاموا وبمساعدات ضخمة من حكومة فتح علي شاه قاجار - ثاني سلاطين الدولة القاجارية في إيران - وبمساندة المرجع الكبير آنذاك الشيخ جعفر الكبير - كاشف الغطاء المتوفى عام ١٢٢٨ من الهجرة - بترميم جميع العتبات المقدسة وإعادة عمارتها على وجه أفضل من السابق.

ومن المساعي التي بذلها فتح علي شاه هو نصب ضريح من الفضة هدية منه إلى حرم أبي الفضل العباس﵇ المقدس وذلك عام ١٢٢٧ من الهجرة.

يقول العلامة المحقق السيد عبدالرزاق المقرم في كتابه (قمر بني هاشم):

نهض فتح علي شاه وجدد ما نهب من الحسين﵇ وأخيه أبي الفضل العباس﵇، وعمَّر قبة العباس﵇ بالكاشاني كما أنه ذهَّب قبة سيد الشهداء﵇[٣٧٨].

ولم تنقطع تلك المساعدات والمساهمات في إعادة بناء الحرم المقدس بل استمرت في زمن الدولة القاجارية، وجدد ناصر الدين شاه - رابع سلاطين دولة قاجار - طلاء الصحن الشريف (عام ١٣٠٤ من الهجرة) والقبة السامية (عام ١٣٠٥ من الهجرة) بالآجر المصقول.

وكذلك الشيخ عبدالحسين بن علي الطهراني الحائري - المعروف بشيخ العراقين والمتوفى عام ١٢٨٦ من الهجرة - قام بدوره بترميمات واسعة في الحرم المطهر وذلك بالاستفادة من ثلث الميرزا تقي خان الكبير - رئيس وزراء إيران المشهور.

وذهَّب الحاج شكر الله بن بدل بك الأفشاري إيوان الطارمة – الإيوان الذي هو أمام حرم أبي الفضل العباس عليه السلام – وأنفق على ذلك كل ماله بإيعاز من زين الفقهاء والمجتهدين الشيخ زين الدين المازندراني – المتوفى في ١٢ من ذي القعدة عام ١٣٠٩ من الهجرة – وكتب اسمه في الجانب الغربي من الإيوان على صفائح الذهب بخط ذهبي موجود إلى الآن، وتاريخ الكتابة سنة ١٣٠٩ من الهجرة.

ثم أن نصير الدولة ذهَّب منارة العباس عليه السلام وكان الصائغ يغش الطلاء الذهبي بالصفر، ولما وقفوا على حقيقة الأمر استدعوا به من بغداد إلى كربلاء، فلما دخل الصحن العباسي اضطرب واسودَّ وجهه ومات من الغد!!

ويقول العلامة الحجة السيد حسن مؤلف كتاب (فدك) أن تذهيب إيوان الباب الأول الصغير لمدخل قبة العباس عليه السلام كان على يد لكناهور محمد شاه الهندي، وأما الطارمة المسقفة بالخشب فبأمر السلطان عبدالحميد خان، وجدد بناء القبة بالكاشي محمد صادق الإصفهاني الشيرازي الأصل، وجعل السيد مرتضى – سادن[٣٧٩] الروضة العباسية المقدسة – بابا من الفضة وهو الباب الذي يتوسط الأبواب الثلاثة الموجودة في الطارمة وكان ذلك عام ١٣٥٥ من الهجرة، وكتب على المصراعين قصيدة الخطيب الشيخ محمد علي اليعقوبي وهي:

لُذْ بِأعْتابِ مَرْقَدٍ قَدْ تَمَنَّتْ
أنْ تَكونَ النجومُ حَصْباهُ
وانْتَشِقْ مِنْ ثرَى أبي الفَضْلِ نَشْراً
لَيْسَ يَحْكي العَبيرُ نَفْحَ شذاهُ
غابَ فيهِ مِنْ هاشمٍ أيُّ بَدْرٍ
فيهِ لَيْلُ الضَّلالِ يُمْحَى دُجاهُ
هو يومُ الطُّفوفِ ساقي العطاشى
فَاسْقِ مِنْ فَيْضِ مُقْلَتَيْكَ ثراهُ
وأطِلْ عِنْدَهُ البُكاءَ ففيهِ
قَدْ أطالَ الحُسينُ شجْواً بُكاهُ
لا يُضاهيهِ ذو الجَناحَيْنِ لَمّا
قُطِعَتْ في شبا الحُسامِ يداهُ
هو بابُ الحُسينِ ما خابَ يوماً
وافِدٌ جاءَ لائِذاً في حِماهُ

قَــامَ دونَ الــهُــدَى يُــنَــاضِــلُ عَــنْــهُ
وكَــفَــاهُ ذاكَ الــمَــقــامِ كَــفَــاهُ
فَــادِيــاً سِــبْــطَ أحْــمَــدٍ كـأبيهِ
حَــيْــدَرَ مُــذْ فَــدَى الــنَّــبِــيَّ أخاهُ
جَــدَّدَ المُرْتَضى لَــهُ بــابَ قُــدْسٍ
مِــنْ لُجَيْنٍ يُغْشِي العُيونَ سناهُ
إنَّــهُ بــابَ حِــطَّــةٍ لَــيْــسَ يَخْشى
كُــلَّ هــوْلٍ مُستَمْسِكٌ فــي عُــراهُ
قِــفْ بِــهِ داعِــيــاً وفــيــه تَــوَســلْ
فَــبِــهِ الــمَــرْءُ يُــسْــتَــجَــابُ دُعــاهُ

وقام المتولون بأمور حرم أبي الفضل العباس عليه السلام وخَدَمته بصرف الهدايا والنذورات المقدمة إلى تلك الحضرة المقدسة في تذهيب قبة العباس عليه السلام النورانية التي تعلو الضريح المطهر عام ١٣٧٥ من الهجرة، وقد تم ذلك العمل على أحسن وجه.

الضريح المقدس في الوقت الحاضر

يجدر بالذكر أنه بالمساعي الحميدة التي بذلها مرجع التقليد العالي المقام المرحوم آية الله العظمى السيد محسن الحكيم (قدس سره) وبمساعدات أهل الخير صنع لقبر العباس عليه السلام ضريح من الفضة والذهب في إصفهان بأيدي فنانين إيرانيين مهرة في تلك الصناعة اليدوية الدقيقة، ومجموع ما استخدم لذلك الضريح أربعمائة ألف مثقال من الفضة وثمانية آلاف مثقال من الذهب، وبعد عمل دام ثلاث سنوات متواصلة نصب الضريح في الحرم العباسي المطهر عام ١٣٨٥ من الهجرة.

المؤلف: في ذلك الوقت كنت ساكنا في قم المقدسة، وأُعلِن ذات يوم أنه سيتم نقل الضريح المقدس من إصفهان إلى قم ومن ثم إلى كربلاء المشرفة، فخرج الناس كلهم رجالا ونساء كبارا وصغارا من أهل قم والزائرين إلى الشوارع يستقبلون الضريح، وكان الاستقبال من العظمة والجلالة والمهابة أن الناس لم يتمالكوا أنفسهم من شدة البكاء شوقا وحنينا لرؤية الضريح المذكِّر بصاحبه ومصائبه ومصائب أهل البيت عليهم السلام الأليمة والمفجعة، وأحاط الجمع الغفير بالضريح حتى صار كالكعبة للطائفين!! وامتدت الأيادي بطولها إلى الضريح لتنال الحظوة في لمسه والتبرك به، وقد نقش هذا المشهد الرائع والمهيب في ذاتي ونفسي وقلبي نقشا عميقا لن أنساه أبدا ما دمت حيا.

المنظر العام للحضرة العباسية المقدسة

تبعد الحضرة العباسـية المقدسة عن حضرة سيد الشـهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام حوالي ٣٥٠ مترا، وتقع في الجهة الشمالية الشرقية منها وعلى أرض مساحتها ٤٣٧٠ مترا مربعا.

تتصـل بالحـرم في جهاته الأربعـة أربعة أروقة ذات أبهـة وجمال خاص و سـقوفها وجدرانها مزينة بالمرايا والبلّور، وتعلو الضريح قبة ضخمة مذهبة – طليت بالذهب عام ١٣٧٥ من الهجرة – ويوجد في وسط الإيوان الجنوبي باب مصنوع من الذهب المطعَّم بالمينا، وفي طرفي الإيـوان الجنوبي من الحرم ترتفع مئذنتان (منارتان) غاية في الرونق والجمال.

وتشمل الحضرة صحنا مربعا يتوسطه الحرم المطهر، وعلى أطراف الصحن الأربعة بنيت حجرات مدفون فيها كثير من علماء الإمامية وأمراء الشـيعة والسـلاطين، وأما تزيين الصحن بالآجر المصقول (الـكاشي) فقـد كان مـن قِبَل الدولـة القاجارية ومـا بعدها، وللصحـن ثمانية أبواب كبـيرة: في الجهة الجنوبية باب الرسول صلى الله عليه وآله، في الجهة الشمالية باب الإمام محمد الجواد عليه السلام، في الجهة الغربيـة أربعة أبواب هـي باب الإمام الحسـن عليه السلام وباب الإمام الحسـين عليه السلام وبـاب صاحب الزمان (عج) وباب موسـى بن جعفر عليه السلام، وفي الجهة الشرقية بابان باب أمير المؤمنين عليه السلام وباب علي بن موسى الرضا عليه السلام.

ويمكـن القـول أن جملة النقوش والزخارف الإسـلامية التي تزين الحرم العبـاسي المطهر والإبداع في دقائـق الصناعـة اليدويـة والبراعـة في اسـتخدام الذهـب والفضة والمينـا والمرايا والبلـور في تزيين السـقوف والأروقة والجدران والأبواب وكذلك بدائع الخطوط المختلفة من النسـخ والثلث والكوفي ونسـتعليق [٣٨٠] أكثر من أن يسـعه هذا الكتاب، ونسـأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا في القريب العاجل زيـارة مرقـد أبي الفضـل العبـاس عليه السلام الشريف لكي نـرى عن كثب روائـع الجمال والجـلال الظاهري والباطني لحرمه الملكوتي العظيم الذي غدا مطافا للملائكة المقربين والكروبيين، آمين رب العالمين.

بكاء العلاّمة بحر العلوم

كان الفقيه الكبيـر المرحوم آيـة الله العظمى العـلامة السـيد محمـد مهـدي الطباطبـائي المعروف بــ «بحـر العلوم» من العلـماء البارزين في القـرن الثالث عشر الهجـري، توفي عـام ١٢١٢ من الهجرة في النجف الأشرف في عصر القاجاريين ودفن هناك.

في زمن هذا العالم الربّاني الجليل تهدمت بعض أركان حرم أبي الفضل العباس عليه السلام واسـتدعى ذلك إلى عمل بعض الترميمات وتجديد البناء.

لما علم السيد بحر العلوم بذلك ذهب إلى الحرم المطهر ومعه معمار ليطَّلعوا على مدى الخراب والهدم ومن ثم يضعوا خطة للعمل على تجديده وإعادة تعميره، ولما نزل السيد والمعمار إلى سرداب الحرم وقع بصر المعمار على القبر الشريف، ثم نظر إلى السيد العلامة وقال: سيدي، هل لي أن أسألك سؤالا؟!

قال: نعم، تفضل

فقال: نحن قرأنا وسمعنا أن أبا الفضل العباس عليه السلام كان طويل القامة وإذا ركب الفرس المطهم تصل ركبتاه إلى أذني الفرس!! وعلى هذا لابد أن يكون قبره أطول مما أراه!! ولكن ظاهر هذا القبر صغير، فهل ما سمعته كان كذبا وافتراء، أم أن في صغر القبر علة لا أعرفها؟!

هنالك وضع السيد العلامة رأسه على الجدار وبكى بكاء شديدا، ولما طال بكاؤه قال المعمار بقلق: سيدي!! لِمَ تبكي؟!

فقال العلامة: ما سمعته وقرأته كان صحيحا بأن أبا الفضل العباس عليه السلام كان طويل القامة، ولكن سؤالك ذكَّرني بمصائب العباس عليه السلام المؤلمة، فقد تقطع بدنه الشريف إربا إربا لكثرة السهام والنبال وطعن السيوف، وتبدلت قامته الطويلة إلى قطعات صغيرة، فهل تعتقد أن يكون لهذه القطعات التي جمعها الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام ودفنها قبرا أكبر من هذا القبر!![٣٨١]

ثواب زيارة مرقد العباس عليه السلام

من المعلوم أن زيارة مرقد أبي الفضل العباس عليه السلام وخصوصا المقرونة منها بالإخلاص والعرفان لها أجر جزيل وثواب عظيم، وطبقا لبعض الروايات أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أوصى بزيارة العباس عليه السلام وعلَّم أبا حمزة الثمالي وصف الزيارة مع ما لها من آداب خاصة[٣٨٢].

ولبيان أهمية زيارة مرقد أبي الفضل العباس عليه السلام المطهر نبين لكم قول العلامة المحقق الملا آقا بن عابد بن رمضان بن زاهد الشيرواني الحائري الدربندي المعروف بالفاضل الدربندي (المتوفي عام ١٢٨٦ من الهجرة) في هذا الشأن:

يقول العلامة الدربندي: قد حكى جمع من الصلحاء أن واحدا من أهل كربلاء وهو الآن موجود كان يزور سيد الشهداء عليه السلام في كل يوم وليلة مرتين وثلاث مرات ولا يزور العباس عليه السلام إلا بعد مضي عشرة أيام من زيارته، فرأى في المنام الصدّيقة المعصومة، فسلم عليها فأعرضت عنه، فقال: سيدتي ما تقصيري؟! فقالت عليها السلام: استقلالك من زيارة ولدي، قال: أزور ولدك في كل يوم ثلاث مرات!! قالت: نعم تزور ولدي الحسين عليه السلام هكذا ولا تزور ولدي العباس عليه السلام إلا قليلا!![٣٨٣]

تبين لنا هذه الرؤيا الصادقة ما لأبي الفضل العباس عليه السلام من عظيم القدر ورفيع المنزلة بأن يكون ابنا للزهراء عليها السلام، وترشدنا كذلك إلى ما لزيارته عليه السلام من الفضل والفضيلة أن تكون مقارنة بزيارة أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وكلنا يعلم بلا شك وترديد وطبقا للأحاديث المتواترة ما لزيارة الحسين عليه السلام من الأجر الكثير والثواب الجزيل[٣٨٤]، على سبيل المثال لا الحصر نبين بعضا منها:

عن صادق آل محمد عليه السلام أنه قال: «مَنْ أَتَى الحُسينَ عَلَيهِ السَّلامُ عارِفاً بِحَقِّهِ كُتِبَ في عِلِّيين»[٣٨٥].

وعنه عليه السلام أيضا: «والله مَنْ زارَهُ عارِفاً بِحَقِّهِ غَفَرَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ»[٣٨٦].

يقول العلامة الدربندي في (أسرار الشهادات):

انظر إلى القلوب كيف تحن إلى زيارته كحنينها إلى زيارة أخيه الحسين عليه السلام، وليس كون عتبته الشريفة وسدته المنيفة ملثما لشفاة قرون الزمان وملوك الدوران، ومعفرا الجباه الأساطين من العلماء الذين هم للدين بمنزلة الأوتاد الراسخة والأركان، إلا لسر لاهوتي ووجه ملكوتي وعلة حقانية كاشفة عما هو عليه عند الله وعند حججه الطاهرين فإذا عرفت ما ذكر وتدبرت فيما مر علمت أن الباكي عليه عارفا بحقه الذي هو حق من حقوق أخيه، تيقنت أن القائل بأنه من الذين يشفع في سبعين ألفا ما تفوَّه بكلمة كاذبة[٣٨٨].

بعض كرامات العباس﵇

إشارة

لما تزود أولياء الله بالتقوى واليقين، واعتصموا بحبل الله المتين، وثبتوا على صراطه المستقيم، وانجذبوا إلى أنوار السادة الميامين من آل سيد المرسلين، ودعوا الله بقلب صفي ولسان نقي، وطابت نفوسهم عن الدنيا، وأعرضوا عن زينتها، وتلذذوا بذكر الله وعبادته، وتنعَّموا بأنسه ومناجاته، وسعدوا بقربه ووصاله، وثبت حب الله في سرائرهم، وترسَّخ الشوق إليه في ضمائرهم، طهرت نفوسهم من الذنوب والمعائب، وخلت قلوبهم من الكدر والشوائب، وقرَّت أعينهم بعطاء الله ونعمائه، واستقرت أرواحهم في دار كرامته وبحبوحة جنانه، وكساهم ربهم بكساء اليُمْن والسرور، وألبسهم تاج الكرامة والحبور، وكانوا منه بالمكان العليِّ والمحل الرضيِّ، وحباهم بمقام الشفاعة الإلهية، وأفرغ عليهم حلل الكرامات السرمدية، حتى صاروا للطالبين موئلا وللراجين معقلا وللمحتاجين بابا يُتَوجَّه بهم إلى الله تبارك وتعالى.

والعباس﵇ معدن الكمالات الروحية ومثال الأوصاف المعنوية ومصداق خلوص العبودية، سعى في حياته لنيل مرضاة الله، وجاهد في سبيل إعلاء كلمة الله، وصبر على البلاء في جنب الله، ورضي بقضاء الله، واستسلم لأمر الله، فأراد الملك المنان جل ثناؤه وتقدست أسماؤه أن يشمله بعناياته ويسبغ عليه من مكرماته ويهنئه بفضله وكرامته ويتم عليه نعمته فجعله وجيها عنده ومن المقربين ومفتاح جوده للطالبين وباب الحوائج إليه للمتوسلين.

إن كرامات أبي الفضل العباس﵇ من يوم استشهاده إلى يومنا هذا من الوفرة والكثرة بحيث أنها خرجت عن دائرة العد والإحصاء، ولكن نورد بعضا منها تيمُّنا وتبركا بذكرها:

١- حكاية عجيبة يرويها آية الله الميرزا الشيرازي رضي الله عنه

نقل المرحوم آية الله العظمى الشيخ الأراكي رضي الله عنه عن المرجع الكبير آية الله العظمى الميرزا محمد حسن الشيرازي (صاحب فتوى تحريم التنباكو والمتوفى عام ١٣١٢ من الهجرة) أنه قال:

توجهت من سامراء إلى كربلاء لزيارة أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وفي طريقي إلى كربلاء مررت على إحدى القبائل وذهبت إلى بيت رئيس القبيلة وسلمت عليه، وبينما هو يرحب بي فإذا بامرأة تقول لي: السلام عليك يا خادم العباس!!

تعجبت من ذلك الأمر، فسألت رئيس القبيلة: من هي هذه المرأة؟! ولماذا تسلم عليَّ بهذا الأسلوب؟!

فقال: هذه أختي

ثم قال: ابتليت بمرض شديد، ووصل بي الحال إلى مرحلة الاحتضار، فحزن أقربائي ويئسوا من شفائي، وذات يوم رأيت أختي واقفة على تل صغير أمام بيتنا وقد استقبلت قبر أبي الفضل العباس عليه السلام ناشرة شعرها وهي تبكي بحرقة وتقول: يا أبا الفضل، سل الله أن يشفي أخي!!

فجأة رأيت رجلين جليلين واقفين أمامي، أحدهما يقول للآخر: أخي حسين، هذه المرأة استشفعت بي إلى الله لشفاء أخيها، فسل الله تعالى أن يشفيه.

فقال الحسين عليه السلام: هذا الرجل على وشك الموت ولا عائد من التوسل لشفائه.

فأعادت أختي الكرَّة مرة ثانية وثالثة وهي تلحُّ في طلبها من العباس عليه السلام ليسأل الله أن يشفيني.

ثم رأيت العباس عليه السلام وقد دمعت عيناه ينظر إلى أخيه الحسين عليه السلام ويقول: أخي حسين، سل الله أن يشفي هذا المريض، وإن لم يكن كذلك فليسلب مني لقب باب الحوائج!!

فقال الحسين عليه السلام: أخي، إن الله يقرئك السلام ويقول لك لقد أبقينا لك هذا المقام واللقب إلى يوم القيامة، وسنشفي هذا المريض حبا لك وكرامة[٣٨٩].

وهذا هو سر سلام أختي بهذا الأسلوب، وكذلك كل شخص تراه ذا مقام نوراني وله وقع خاص في قلبها تلقبه بخادم العباس عليه السلام.

٢- كرامتان في آن واحد

نقل بعض العلماء والثقاة أن المرحوم آية الله العلامة المتبحر الشيخ الجليل عبدالرحيم التستري (أو الششتري المتوفى عام ١٣١٣ من الهجرة) وهو من تلامذة الأستاذ الأعظم الشيخ مرتضى الأنصاري - صاحب كتاب المكاسب والرسائل - أعلا الله مقامهما قال:

زرت الإمام الشهيد أبا عبدالله الحسين﵇ ثم قصدت أبا الفضل العباس﵇ وبينا أنا في الحرم المقدس إذ رأيت زائرا من الأعراب ومعه غلام مشلول وربطه بالشباك وتوسل وتضرع وإذا الغلام قد نهض وليست به علة وهو يصيح: شافاني العباس!!

فاجتمع الناس عليه وخرقوا ثيابه للتبرك بها.

فلما أبصرتُ هذا بعيني تقدمت نحو الشباك وعاتبته عتابا مقذعا وقلت: يغتنم المعيدي الجاهل منك المنى وينكفئ مسرورا وأنا مع ما أحمله من العلم والمعرفة فيك والتأدب في المثول أمامك أرجع خائبا لا تقضي حاجتي، فلا أزورك بعد هذا أبدا!!

ثم راجعتني نفسي وتنبهت لجافي عَتَبي فاستغفرت ربي مما أسأت إلى العباس﵇.

ولما عدت إلى النجف الأشرف أتاني الشيخ المرتضى الأنصاري قدس الله روحه الزاكية وأخرج صرتين وقال: هذا ما طلبته من أبي الفضل العباس﵇، اشتر دارا وحج البيت الحرام.

ولأجلهما كان توسلي بالعباس﵇(٣٩١).

وفي نقل آخر أن المرحوم العلامة الشيخ عبدالرحيم التستري كانت له ثلاث حاجات:

١ - أداء دَين بمقدار مائتين تومان،

٢- حج البيت الحرام،

٣- تأمين حياته الاجتماعية،

وببركة العباس﵇ قضيت حاجاته الثلاث، وفي نفس الوقت تجلى للناس عظيم منزلة الشيخ مرتضى الأنصاري - أعلى الله مقامه - بالنسبة إلى أهل البيت﵈(٣٩٢).

٣- الأعمى الذي استعاد بصره ببركة العباس﵇

يقول العالم الكبير الشيخ مهدي الكرمانشاهي:

كان رجل يعيش في كربلاء و يعمل في دكان صغير له في السوق الواقع بين الحرمين، ومنذ عرفنا هذا الرجل وعرفه الآخرون أنه أعمى لا يبصر شيئا.

وذات يوم كنت نائما في إحدى حجرات المقابر الخاصة بنا والواقعة في إحدى أروقة الحرم الحسيني الشريف، ونظرا لشدة حرارة الجو تركت باب الحجرة مفتوحا، وبينما أنا كذلك إذ سمعت أصواتا عالية، فنظرت وإذا بجمع غفير من الناس قد دخلوا حرم أبي عبدالله الحسين﵇ من جهة الصحن الصغير، ولما رأى الجمع أن باب الحجرة مفتوح اندفعوا إلى الحجرة وبينهم رجل قد مزقت ثيابه ويحاولون أن يخلصوه من شدة زحام الناس عليه، فأدخلوه الحجرة ودخلوا معه وأغلقوا الباب.

نظرت إلى الرجل جيدا وإذا به صاحب الدكان الذي كنت أعلم يقينا أنه أعمى والآن عاد إليه بصره!! وقد مزق الناس ثيابه ليأخذوا منه قطعا يتبركون بها، وكان بعضهم يمد أصابعه أمام عينيه ويقول له: كم هذا؟! فكان يجيب عليهم بالجواب الصحيح.

ولما هدأ الناس من حوله سألته عن ذلك، فحدثني بما جرى عليه في حرم أبي الفضل العباس عليه السلام من العناية والكرامة وأنه عليه السلام قد شفاه من العمى ورد إليه بصره[٣٩٣].

٤- جزاء المعتدي

اتهم أحد عملاء الميرزا محمد خان أرباب سيدة بالباطل وأراد بهذه الوسيلة أن يسلب منها بعض الأموال.

وذات يوم أمسك العميل بقبة قميص المرأة وأخذ يلح عليها ويطلب منها المال، فلاذت المرأة بالفرار وتوجهت إلى حرم أبي الفضل العباس عليه السلام، وأمسكت بشباك الضريح ونادت بحرقة: يا أبا الفضل دخيلك أنقذني.

وبلغت جسارة ذلك الرجل العميل أن دخل الحرم المطهر يريد أن يخرج المرأة بالقوة، وحاول خدام الحرم أن يمنعوه ولكن دون جدوى، فأخرج المرأة من الحرم وأخذ منها ما يريد.

في اليوم التالي أراد العميل أن يتوجه مع سيده محمد خان إلى النجف الأشرف، فركبا السيارة، وأثناء الطريق غلب عليه النوم فاصطدمت سيارتهما بأخرى، وأصيبت يد العميل - تلك اليد التي أمسك بها عضد المرأة وأخرجها بالقوة من حرم أبي الفضل العباس عليه السلام - بإصابات بالغة واسودت عظامها ولم يشف منها!!

وبذلك ظهر أثر استجابة دعاء المرأة البريئة التي لجأت إلى أبو الغيرة العباس بن علي عليه السلام ونال المعتدي جزاء عمله شر الجزاء[٣٩٤].

٥- قضاء العباس عليه السلام ينجي فتاة بريئة

لقد تشرفنا بمحضر العالم الرباني والفاضل الصمداني المرحوم آية الله الحاج حسين الفاطمي القمي رضي الله عنه - أحد تلامذة المرحوم آية الحق الحاج ميرزا جواد الملكي التبريزي رضي الله عنه البارزين - والذي كان في ليالي الجمعة وبعد إلقاء المواعظ في تربية النفس يقرأ دعاء كميل العظيم بصورة تهتز لأنينه الجدران وتخشع لنبراته الآذان.

ينقل المرحوم آية الله الفاطمي رضي الله عنه في كتابه (جامع الدرر) أن والده السيد إسحق[٣٩٥] كان ينقل له

هذه الكرامة الخاصة بأبي الفضل العباس عليه السلام كرارا ويقول: فلتعمى عيناي إن قلت كذبا أني رأيت هذه الكرامة ولتصمّ أذناي إن قلت كذبا أني سمعت هذه الكرامة، ثم يقول:

تشرفت يوما بزيارة حرم أبي الفضل العباس عليه السلام، فرأيت جمعا من أعراب البادية ومعهم فتاة متجهين إلى الحرم المطهر، وقد كثر الزحام حول المرقد الشريف، وإذا بالفتاة قد ألصقت بدنها بالضريح المنور وهي تصرخ وتبكي، فالتفت إليها الحاضرون وخيَّم عليهم السكوت، وفجأة سمعتُ وسمع جميع الحاضرين صوتا يقول: والدي زوج أمي!!

وتفاجأنا أن ذلك الصوت كان صوت الطفل الذي تحمله الفتاة في بطنها!!

ومع سماع الناس ذلك هللوا وكبروا وازدحموا على الفتاة لكي يتبركوا بها، وبعد جهد وعناء تمكن خدام الحرم المقدس أن يخلصوا الفتاة من أيدي الناس، ومن ثم أخذوها إلى جانب قريب من مركز الكليددار[٣٩٦] الخاص بحرم أبي الفضل العباس عليه السلام.

وكان كليددار الحرم آنذاك المرحوم السيد حسن والد المرحوم السيد عباس، وكان صاحبي منذ زمن بعيد، وبعدما أخذوا الفتاة إلى منزلها وخف الزحام ذهبت إلى السيد حسن وسألته عن قضية تلك الفتاة.

قال: هذه طائفة من أعراب البادية تسكن أطراف كربلاء، وتلك الفتاة قد تم عقد نكاحها لابن عمها، ومن عادات هذه الطائفة وتقاليدها أن لا ينفرد الرجل بمن عقد عليها النكاح إلا بعد مراسيم الزواج، وعدم الانصياع لهذه العادات والتقاليد قد يجر إلى القتل أو ما شابه.

ونظرا إلى أن الرجل كان محروما من ملاقاة زوجته أو بسبب بعض الخلافات التي كانت بينه وبين والد زوجته أراد أن يجلب لهم العار والفضيحة، فأخذ يراقب زوجته إلى أن تحينت له الفرصة فخلا بها وواقعها، ثم تركها وهرب خوفا من عقوبة والد زوجته، ولما ظهر أثر الحمل على الفتاة سألها أهلها عن ذلك فكانت تقول: هذا الحمل من زوجي، ولما تحققوا في الأمر مع زوجها أنكر ذلك بشدة.

لم يعتن أهل الفتاة بأقوالها وعزموا على قتلها، ولما اشتد عليها الأمر قالت لهم: أبو الفضل العباس يحكم بيننا، وأنا راضية بما يحكم به!!

قبِل أهلها ذلك وذهبوا معها إلى حرم أبي الفضل العباس عليه السلام ليحكم بينهم، وبفضل عنايات أبي الفضل العباس عليه السلام نطق الطفل في بطن أمه وأثبت براءتها[٣٩٧].

بـــابُ الــحَــوائِــجِ مـا دَعَــتْــهُ مُــرَوِّعَــةٌ
فــي حــاجَــةٍ إلا ويَــقْــضــي حـاجَـهـا

٦ - عقوبة الإهانة والخيانة

ومن معجزات أبي الفضل﵇ الذي ذكره المرحوم العلامة فاضل الدربندي في (إكسير العبادات في أسرار الشهادات) قال:

ومن ذلك ما أخبرني السيد الأجل السيد أحمد نجل السيد الأفخم العلامة السيد نصر الله المدرس الحائري أنه قال:

كنت مع جمع من الخدّام قاعدين في الصحن الشريف للحضرة العباسية، فبينما نحن كذلك فإذا برجل قد خرج من الحرم الشريف راكضا عجلا واضعا إحدى يديه على أصل خنصرة يده الأخرى حتى أنه خرج من الحرم الشريف، فقمنا مسرعين نحوه، فلقيناه بعد أن خرج من الصحن فرفع يده من أصل الخنصرة فإذا خنصرته مقطوعة من أصلها يسيل الدم منها سيلان الماء من الميزاب، فرجعنا مسرعين إلى الحرم الشريف فوجدنا خنصرته بين شبكات الضريح معلقة عليها ولم تقطر قطرة دم منها كأنها عضو من أعضاء غير الحي، ثم أن هذا الرجل قد مات بعد ليلة من ذلك اليوم وكان ذلك لأجل تقصير منه من مخالفة عهد أو نذر أو الإهانة أو نحو ذلك[٣٩٨].

٧- شفاء رجل مشلول في مجلس عزاء العباس﵇

نقل العالم الثقة الثبت الشيخ حسن أحد أحفاد المرحوم آية الله العظمى المقدس صاحب الجواهر عن العارف البصير الثقة الحاج منيشد بن سلمان آل حاج عبودة والذي شاهد الكرامة بنفسه أنه قال:

كان رجل من عشيرة البراجعة يسمى «مخيلف» مصابا بمرض في رجليه وطال ذلك حتى يبستا، وبقي على هذا الحال ثلاث سنين، وشاهده الكثير من أهل المحمَّرة يحضر الأسواق ومجالس عزاء الحسين﵇ مستعينا بالناس على زمانه وقد عجز عن المباشرة ويئس من البرء، وكان للشيخ خزعل بن جابر الكعبي في المحمرة حسينية يقيم فيها عزاء الحسين﵇ في العشرة الأولى من المحرم، ويحضر هناك خلق كثير، حتى النساء يجلسن في الطابق الأعلى من الحسينية، والعادة المطردة في تلك البلاد ونواحيها أن الخطيب النائح إذا وصل في قراءته إلى الشهادة قام أهل المجلس يلطمون بلهجات مختلفة.

في اليوم السابع من المحرم كان المتعارف أن تذكر مصيبة أبي الفضل العباس﵇، وهذا الرجل – أعني مخيلف – يأتي الحسينية ويجلس تحت المنبر، وحينما وصل الخطيب إلى ذكر المصيبة أخذت الحالة المعتادة من في المجلس رجالا ونساء، وبينا هم على هذا الحال إذ يرون ذلك المصاب بالزمانة في رجليه – مخيلفا – واقفا معهم يلطم، وبلهجته كان يقول: أنا مخيلف قيَّمني العباس!!

وبعد أن بانت هذه الفضيلة من أبي الفضل العباس عليه السلام تهافتوا عليه وخرقوا ثيابه للتبرك بها وازدحموا عليه يقبِّلون رأسه ويديه، فأمر الشيخ خزعل غلمانه أن يرفعوه إلى إحدى الغرف ويمنعوا الناس عنه، وصار ذلك اليوم في المحمرة أعظم من اليوم العاشر من المحرم، وكثر البكاء والعويل والصراخ من الرجال، وأما النساء فمنهن من تهلل وأخرى تصرخ وغيرها تلطم.

وسئل مخيلف عما رآه وشاهده فقال: بينا الناس يلطمون على العباس عليه السلام أخذتني سِنَة وأنا تحت المنبر، فرأيت رجلا جميلا طويل القامة على فرس أبيض عال في المجلس وهو يقول: يا مخيلف، لم لا تلطم على العباس مع الناس؟! فقلت له: (يا أغاتي) لا أقدر وأنا بهذا الحال، فقال لي: قم والطم على العباس، قلت له: يا مولاي، أنا لا أقدر على القيام، أعطني يدك لأقوم، فقال: أنا ما عندي إيدين!! فقلت له: كيف أقوم؟! قال: الزم ركاب الفرس وقم، فقبضت على ركاب الفرس وأخرجني من تحت المنبر وغاب عني وأنا في حالة الصحة[٣٩٩].

٨- مسيحي يتوسل بالعباس عليه السلام فتقضى حاجته

ينقل العالم المحقق المرحوم الشيخ محمد باقر الملبوبي في كتابه (الوقائع والحوادث):

سمعت مدّاحا مخلصا لأهل البيت عليهم السلام يقول: ركبت سيارة نقل (تاكسي) عازما على التوجه إلى إحدى مجالس العزاء في طهران، ولما وصلت إلى مقصدي أخرجت المال من جيبي لأدفع الأجرة إلى سائق التاكسي، فأبى أن يأخذها مني، ولما سألته عن السبب قال لي: آليت على نفسي أن لا آخذ الأجرة من خدّام العباس عليه السلام!! قلت له: لماذا؟! قال: للمكرمة التي أعطاني إياها أبو الفضل العباس عليه السلام، فقلت له: وأية مكرمة؟!

قال: أنا مسيحي آشوري ومنذ سنوات لم أرزق بأطفال، عالجت كثيرا ولكن دون جدوى، توسلت بالمسيح عليه السلام والسيدة مريم عليها السلام ولكن لم أحصل على نتيجة، وعلى أثر اختلاطي بالسائقين المسلمين سمعت باسم العباس كثيرا وأنه وجيه عند الله تبارك وتعالى، فدعوت الله وقلت: إلهي، توسلت بالعباس إليك، فبحقه اقض حاجتي!!

فلم تمض إلا أيام قلائل حتى رزقني الله طفلا، ومن ذلك الحين عاهدت الله أن لا آخذ ثمن الأجرة من خدام العباس عليه السلام ومداحيه، وهذا نموذج من كرامة العباس عليه السلام وسبب إخلاصي وتعظيمي لشأنه ووفائي له بالعهد[٤٠٠].

٩- الشفاء العاجل لطفلة على وشك الموت

نقل عطائي الخراساني في كتابه (شخصية أبي الفضل قمر بني هاشم - بالفارسية) عن السيد الثقة الجليل الحاج محمد علي ضوابطي أنه قال:

سافرت وأهلي وعيالي إلى العتبات المقدسة (في العراق)، ولما وصلنا كربلاء أصيبت حفيدتي التي كانت تبلغ من العمر أربع سنوات بمرض شديد، حاولنا معالجتها بالأدوية الأولية ولكن بدون جدوى بل اشتد عليها المرض، فأتينا بالطبيب إلى المنزل، وكانت الطفلة في حالة إغماء، وبعدما فحصها الطبيب كتب لها وصفة علاج وقال لي سرا أن حال الطفلة وخيم جدا ولا أمل في شفائها.

لما سمعت زوجتي كلام الطبيب ما لبثت حتى لبست عباءتها وقالت: سأذهب الآن وآتي بعلاجها!! وخرجت من المنزل.

كنت جالسا عند فراش الطفلة، وما مضى من الوقت إلا قليل فإذا بي أراها تفتح عينيها، ثم رفعت رأسها وقالت: جدي، ضمني إلى صدرك.

تعجبت من أمرها كيف أفاقت بهذه السرعة وقامت من مكانها وتكلمت، ثم قالت: أين جدتي؟!

قلت لها: سوف تأتي بعد قليل.

لما رجعت زوجتي ورأت الطفلة جالسة في حجري قالت: أرأيتها كيف برئت؟!

فقلت لها: وأين كنت؟!

قالت: كنت في حرم أبي الفضل العباس‍عليه السلام، وتوسلت إليه بتضرع وخشوع وقلت: يا أبا الفضل، أنا زائرتك، ولو لم تكن باب الحوائج لما أتيتك، وطفلتي تواجه خطر الموت، فالطف بها لتشفى، فإن ماتت بم أجيب والدها!!

وخرجتُ من الحرم، وها أنا الآن أرى كرامة أبي الفضل العباس‍عليه السلام قد تحققت في شفاء طفلتي[٤٠١].

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتوجه بقلوب ملؤها الشوق والحنين إلى حرم مولانا وسيدنا أبي الفضل العباس‍عليه السلام ونقف على أعتاب فضله وإحسانه ونستجير بأنوار قبره وشميم تربته ونقول:

ما خاب من لجأ إليكم، وما ضل من تمسك بحبلكم، وما يئس من رجا فضلكم، أنتم خيار أهل الجود والكرم، والغاية في الحوائج والهمم، رفع الله مقامكم وأعلى منزلتكم، فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فاشفعوا لنا يا ساداتنا فيما قصدنا، فلكم عند الله عز وجل الجاه العظيم والشأن الكبير والشفاعة المقبولة.

الخاتمة

وفي الختـام نتقدم إلى حضرة مولانـا أبي الفضل العباس بن علي﴿ع﴾ بالاعـتراف بالتقصير والإقرار بالعجز عن وصف شـأن من شـأنه وبيان فضيلة من فضائله وإدراك منقبة من مناقبه، كيف لا وقدسية أنواره أضوأ من أن تدركه مضائق أبصارنا، وعظيم مآثره أجلُّ من أن تتحدث به كلالة ألسنتنا، ودائرة معرفته أوسع من أن تحيط به مدارك علمنا.

نسأل الله بنور وجهه الكريم أن يعرِّفنا أولياءه حق المعرفة حتى نكون من المقتفين آثارهم والسالكين سـبيلهم، ونسـأله أن يرزقنا في الدنيا زيارتهم ولا يحرمنا في الآخرة شـفاعتهم والحشر في زمرتهم آمين رب العالمين.

ونزيِّـن خاتمـة الكتاب بزينة أنـوار زيارات قمر الهاشـميين وفخر العلويين العبـاس بن علي عليهما أفضل صلوات المصلين:

١- زيارة العباس﴿ع﴾ نقلا عن الإمام الصادق﴿ع﴾

روى الشـيـخ الأجـل جعفر بن قولـويـه القمي بسند معتبر عن أبي حمزة الثمالي عن الصادق﴿ع﴾ أنه قال: إذا أردت زيارة قبر العباس بن علي﴿ع﴾ وهو على شط الفرات بحذاء الحير فقف على باب السقيفة (الروضة) وقـل:

«سَـلامُ الله وسَـلامُ مَلائِكَتِـهِ المُقَـرَّبـيــنَ وأنْـبِـيـائِـهِ المُـرْسَــلـيــنَ وَعِبـادِهِ الصّالِحِـينَ وَجَميع الشُّـهَداءِ وَالصِّدّيقينَ وَالزّاكِياتُ الطَّـيِّـبـاتُ فيما تَغْـتَـدي وَتَروحُ عَلَـيْكَ يا ابْنَ أميرِ المُؤْمِنيـنَ، أشْهَدُ لَكَ بِالتَّسْـليمِ وَالتَّصْديقِ وَالوَفاءِ وَالنَّصيحَةِ لِخَلَفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ المُرْسَـلِ وَالسِّـبْطِ المُنْتَجَبِ وَالدَّليلِ العالِمِ وَالوَصِيِّ المُبَلِّغِ وَالمَظْلومِ المُهْتَضَمِ، فَجَزاكَ اللهُ عَنْ رَسولِهِ وَعَنْ أميرِ المُؤْمِنينَ وَعَنِ الحَسَنِ

وَالحُسَيْنِ صَلَواتُ الله عَلَيْهِمْ أَفْضَلَ الجَزاءِ بِما صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ وَأَعَنْتَ فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ قَتَلَكَ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ جَهِلَ حَقَّكَ وَاسْتَخَفَّ بِحُرْمَتِكَ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ حالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ماءِ الفُراتِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قُتِلْتَ مَظْلوماً، وَأَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ لَكُمْ ما وَعَدَكُمْ، جِئْتُكَ يا ابْنَ أَميرِ المُؤْمِنينَ وافِداً إِلَيْكُمْ وَقَلْبِي مُسَلِّمٌ لَكُمْ وَتابِعٌ، وَأَنا لَكُمْ تابِعٌ، وَنُصْرَتي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمينَ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ عَدُوِّكُمْ، إِنِّي بِكُمْ وَبِإِيابِكُمْ مِنَ المُؤْمِنينَ، وَبِمَنْ خالَفَكُمْ وَقَتَلَكُمْ مِنَ الكافِرينَ، قَتَلَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ بِالأَيْدي وَالأَلْسُنِ».

ثم ادخل فانكب على القبر وقل:

«السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها العَبْدُ الصَّالِحُ المُطيعُ لله وَلِرَسولِهِ وَلأَميرِ المُؤْمِنينَ وَالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ، السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَرِضْوانُهُ وَعَلَى روحِكَ وَبَدَنِكَ، أَشْهَدُ وَأُشْهِدُ اللهَ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى ما مَضَى بِهِ البَدْرِيّونَ وَالمُجاهِدونَ في سَبيلِ الله المُناصِحونَ لَهُ في جِهادِ أَعْدائِهِ المُبالِغونَ في نُصْرَةِ أَوْلِيائِهِ الذّابّونَ عَنْ أَحِبّائِهِ، فَجَزاكَ اللهُ أَفْضَلَ الجَزاءِ وَأَكْثَرَ الجَزاءِ وَأَوْفَرَ الجَزاءِ وَأَوْفَى جَزاءِ أَحَدٍ مِمَّنْ وَفَى بِبَيْعَتِهِ وَاسْتَجابَ لَهُ دَعْوَتَهُ وَأَطاعَ وُلاةَ أَمْرِهِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بالَغْتَ في النَّصيحَةِ وَأَعْطَيْتَ غايَةَ المَجْهودِ، فَبَعَثَكَ اللهُ في الشُّهَداءِ وَجَعَلَ روحَكَ مَعَ أَرْواحِ السُّعَداءِ، وَأَعْطاكَ مِنْ جِنانِهِ أَفْسَحَها مَنْزِلاً وَأَفْضَلَها غُرَفاً، وَرَفَعَ ذِكْرَكَ في عِلِّيّينَ (في العالَمينَ) وَحَشَرَكَ مَعَ النَّبِيّينَ وَالصِّدّيقينَ وَالشُّهَداءِ وَالصّالِحينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفيقاً، أَشْهَدُ أَنَّكَ لَمْ تَهِنْ وَلَمْ تَنْكُلْ، وَأَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى بَصيرَةٍ مِنْ أَمْرِكَ مُقْتَدِياً بِالصّالِحينَ وَمُتَّبِعاً لِلنَّبِيّينَ، فَجَمَعَ اللهُ بَيْنَنا وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ رَسولِهِ وَأَوْلِيائِهِ في مَنازِلِ المُخْبِتينَ، فَإِنَّهُ أَرْحَمُ الرّاحِمينَ».

ثم يقول: ومن المستحسن أن يزار بهذه الزيارة خلف القبر مستقبل القبلة كما قال الشيخ في التهذيب، ثم ادخل فانكب على القبر وقل وأنت مستقبل القبلة:

«السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها العَبْدُ الصّالِحُ....» إلى آخر الزيارة.

واعلم أيضا أن إلى هنا تنتهي زيارة العباس على الرواية السالفة، ولكن السيد ابن طاووس والشيخ المفيد وغيرهما ذيّلوها قائلين ثم انحرف إلى عند الرأس فصلِّ ركعتين ثم صلِّ بعدهما ما بدا لك وادع الله كثيرا وقل عقيب الركعات:

«اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَلا تَدَعْ لي في هَذا المَكانِ المُكَرَّمِ وَالمَشْهَدِ المُعَظَّمِ ذَنْباً إِلاّ غَفَرْتَهُ وَلا هَمّاً إِلاّ فَرَّجْتَهُ وَلا مَرَضاً إِلاّ شَفَيْتَهُ وَلا عَيْباً إِلاّ سَتَرْتَهُ وَلا رِزْقاً إِلاّ بَسَطْتَهُ وَلا خَوْفاً إِلاّ آمَنْتَهُ وَلا شَمْلاً إِلاّ جَمَعْتَهُ وَلا غائِباً إِلاّ حَفِظْتَهُ وَأَدْنَيْتَهُ وَلا حاجَةً مِنْ حَوائِجِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ لَكَ فيها رِضاً وَلِيَ فيها صَلاحٌ إِلاّ قَضَيْتَها يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ».

ثم عد إلى الضريح وقف عند الرجلين وقل:
«السَّلامُ عَلَيْكَ يا أَبا الفَضْلِ العَبّاسَ ابْنَ أَميرِ المُؤْمِنينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ سَيِّدِ الوَصِيّينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ أَوَّلِ القَوْمِ إِسْلاماً وَأَقْدَمِهِمْ إِيماناً وَأَقْوَمِهِمْ بِدينِ اللهِ وَأَحْوَطِهِمْ عَلَى الإِسْلامِ، أَشْهَدُ لَقَدْ نَصَحْتَ للهِ وَلِرَسولِهِ وَلأَخيكَ، فَنِعْمَ الأَخُ المُواسي، فَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً ظَلَمَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً اسْتَحَلَّتْ مِنْكَ المَحارِمَ وَانْتَهَكَتْ حُرْمَةَ الإِسْلامِ، فَنِعْمَ الصّابِرُ المُجاهِدُ المُحامي النّاصِرُ وَالأَخُ الدّافِعُ عَنْ أَخيهِ المُجيبُ إِلَى طاعَةِ رَبِّهِ الرّاغِبُ فيما زَهِدَ فيه غَيْرُهُ مِنَ الثَّوابِ الجَزيلِ وَالثَّناءِ الجَميلِ، وَأَلْحَقَكَ اللهُ بِدَرَجَةِ آبائِكَ في جَنّاتِ النَّعيمِ، اللَّهُمَّ إِنّي تَعَرَّضْتُ لِزيارَةِ أَوْلِيائِكَ رَغْبَةً في ثَوابِكَ وَرَجاءً لِمَغْفِرَتِكَ وَجَزيلِ إِحْسانِكَ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطّاهِرينَ، وَأَنْ تَجْعَلَ رِزْقي بِهِمْ دارّاً وَعَيْشي بِهِمْ قارّاً وَزِيارَتي بِهِمْ مَقْبولَةً وَحَياتي بِهِمْ طَيِّبَةً، وَأَدْرِجْني إِدْراجَ المُكْرَمينَ وَاجْعَلْني مِمَّنْ يَنْقَلِبُ مِنْ زِيارَةِ مَشاهِدِ أَحِبّائِكَ مُفْلِحاً مُنْجِحاً قَدْ اسْتَوْجَبَ غُفْرانَ الذُّنوبِ وَسَتْرَ العُيوبِ وَكَشْفَ الكُروبِ، إِنَّكَ أَهْلُ التَّقْوى وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ».

فإذا أردت وداعه فادن من القبر الشريف وودِّعه بما ورد في رواية أبي حمزة الثمالي وذكره العلماء أيضا:

«أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ وَأَسْتَرْعيكَ، وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ، آمَنّا بِاللهِ وَبِرَسولِهِ وَبِكِتابِهِ وَبِما جاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، اللَّهُمَّ فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدينَ، اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْهُ آخِرَ العَهْدِ مِنْ زِيارَةِ قَبْرِ ابْنِ أَخي رَسولِكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَارْزُقْني زِيارَتَهُ أَبَداً ما أَبْقَيْتَني، وَاحْشُرْني مَعَهُ وَمَعَ آبائِهِ في الجِنانِ، وَعَرِّفْ بَيْني وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسولِكَ وَأَوْلِيائِكَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَتَوَفَّني عَلَىالإِيمانِ بِكَ وَالتَّصْديقِ بِرَسولِكَ وَالوِلايَةِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ وَالأَئِمَّةِ مِنْ وُلْدِهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وَالبَراءَةِ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَإِني قَدْ رَضيتُ يا رَبّي بِذَلِكَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ».

ثم ادع لنفسك ولأبويك وللمؤمنين والمسلمين واختر من الدعاء ما شئت[٤٠٢].

٢- زيارة العباس عليه السلام يوم عرفة

قال السيد ابن طاووس والشهيد (بعد زيارة أبي عبدالله الحسين عليه السلام): ثم امض إلى مشهد العباس رضي الله عنه، فإذا أتيته فقف على قبره وقل:

«السَّلامُ عَلَيْكَ يا أَبا الفَضْلِ العَبّاسَ ابْنَ أَميرِ المُؤْمِنينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ سَيِّدِ الوَصِيّينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ أَوَّلِ القَوْمِ إِسْلاماً وَأَقْدَمِهِمْ إِيماناً وَأَقْوَمِهِمْ بِدينِ اللهِ وَأَحْوَطِهِمْ عَلَى الإِسْلامِ، أَشْهَدُ لَقَدْ نَصَحْتَ للهِ وَلِرَسولِهِ وَلأَخيكَ، فَنِعْمَ الأَخُ المُواسي، فَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً ظَلَمَتْكَ، وَلَعَنَ

اللهُ أُمَّةً اسْـتَحَلَّتْ مِنْكَ المَحارِمَ وَانْتَهَكَتْ في قَتْلِكَ حُرْمَةَ الإسْلامِ، فَنِعْمَ الأخُ الصّابِرُ المُجاهِدُ المُحامي النّـاصِرُ وَالأخُ الدّافِـعُ عَنْ أخيهِ المُجيـبُ إلَى طاعَةِ رَبِّهِ الرّاغِـبُ فيما زَهِدَ فيه غَيْرُهُ مِـنَ الثّوابِ الجَزيلِ وَالثَّناءِ الجَميلِ، وَألْحَقَكَ اللهُ بِدَرَجَةِ آبائِكَ في دارِ النَّعيمِ، إنَّهُ حَميدٌ مَجيدٌ».

ثم انكب على القبر وقل:

«اللَّهُمَّ لَكَ تَعَرَّضْتُ، وَلِزِيارَةِ أوْلِيائِكَ قَصَدْتُ، رَغْبَةً في ثَوابِكَ وَرَجاءً لِمَغْفِرَتِكَ وَجَزيلِ إحْسانِكَ، فَأسْألُكَ أنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأنْ تَجْعَلَ رِزْقي بِهِمْ دارّاً وَعَيْشي بِهِمْ قارّاً وَزِيارَتي بِهِمْ مَقْبـولَـةً وَذَنْبـي بِهِـمْ مَغْفوراً، وَاقْلِبْني بِهِمْ مُفْلِحاً مُنْجِحاً مُسْـتَجاباً دُعائي بِأفْضَلِ ما يَنْقَلِـبُ بِهِ أحَدٌ مِنْ زُوّارِهِ وَالقاصِدينَ إلَيْهِ بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرّاحِمينَ».

ثم قبِّل الضريح وصلِّ عنده صلاة الزيارة(٤٠٣).

٣- زيارة العباس عليه السلام في العيدين

«السَّلامُ عَلَيْكَ أيُّها العَبْدُ الصّالِحُ والصِّدّيقُ المُواسي، أشْهَدُ أنَّكَ آمَنْتَ بِاللهِ وَنَصَرْتَ ابْنَ رَسولِ اللهِ وَدَعَوْتَ إلى سَبيلِ اللهِ وَواسَيْتَ بِنَفْسِكَ، فَعَلَيْكَ مِنَ اللهِ أفْضَلُ الـتَّحِيَّـةِ وَالسَّلامِ».

ثم انكب على القبر وقل:

«بِأبي أنْتَ وَأمّي يا ناصِرَ دينِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا ناصِـرَ الحُسَينِ الصِّدّيقِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا ناصِرَ الحُسَيْنِ الشَّهيدِ، عَلَيْكَ مِنّي السَّلامُ ما بَقيتُ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهارِ».

ثم صلِّ عند رأسه عليه السلام ركعتين وقل:

«اللَّهُمَّ إنّي صَلَّيْتُ وَرَكَعْتُ وَسَـجَدْتُ لَكَ وَحْدَكَ لا شَريكَ لَكَ لأنَّ الصَّلاةَ وَالرُّكوعَ وَالسُّـجودَ لا يَكـونُ إلا لَـكَ، لأنَّكَ أنْتَ اللهُ لا إلَهَ إلاّ أنْتَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأبْلِغْهُمْ عَنّي أفْضَلَ السَّـلامِ وَالتَّحِيَّةِ، وارْدُدْ عَلَيَّ مِنْهُم السَّـلامَ، اللَّهُمَّ وَهاتانِ الرَّكْعَتانِ هَدِيَّةٌ مِنّي إلى مَوْلايَ العباس عليه السلام، اللَّهُـمَّ صَلِّ عَـلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَتَقَبَّلْ مِنّي وَأجِرْني عَلى ذَلِـكَ بِأفْضَلِ أمَلي وَرَجائي فيكَ وَفي وَلِيِّكَ يا وَلِيَّ المُؤْمنينَ»(٤٠٤).